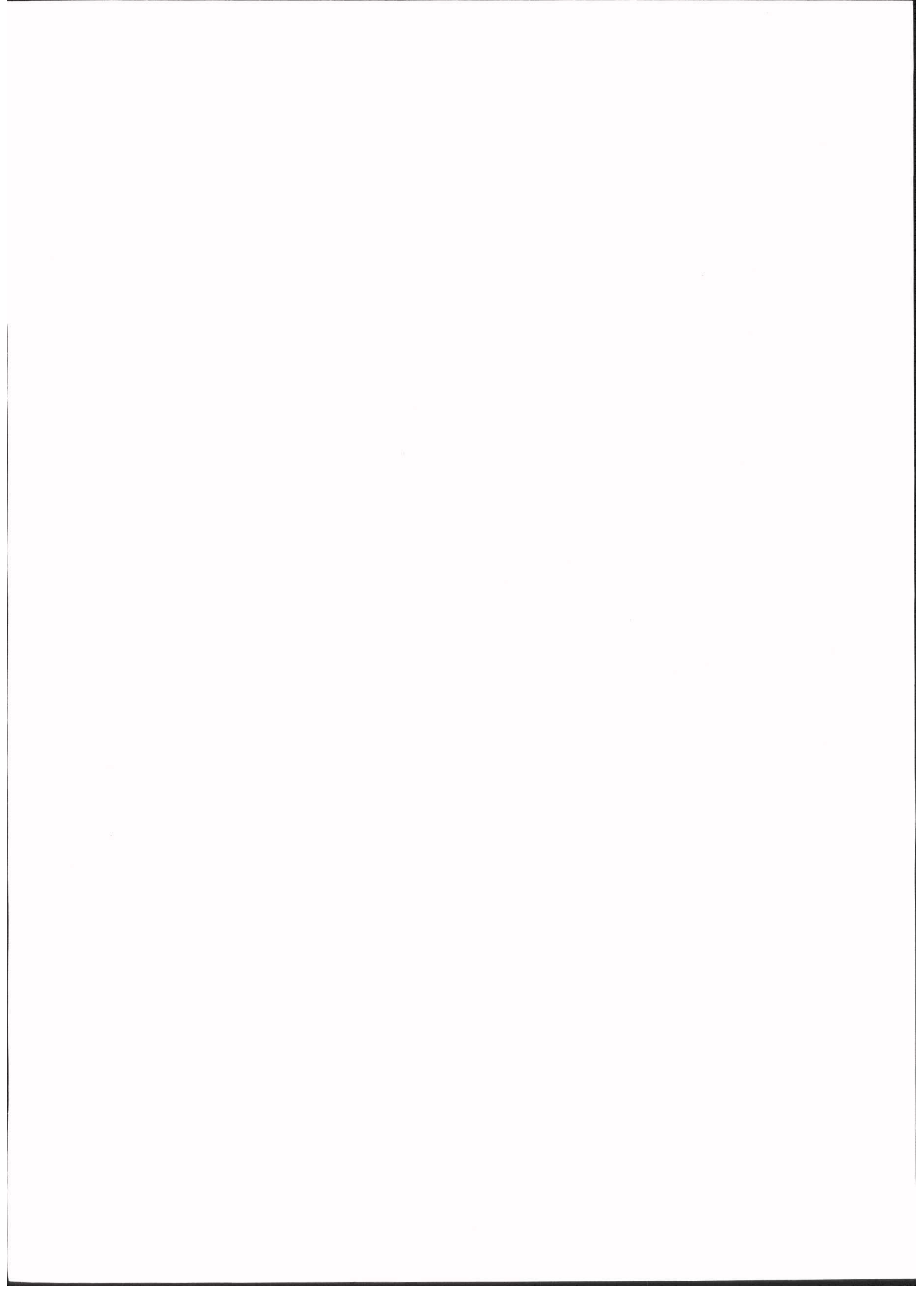
بسم الله الرحمن الرحيم

" فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض "

" صدق الله العظيم "

« الرعد: ١٧»



في المنهج :

ولما كان التناقض بين الواقع وإرادة الإنسان يثور في الإنسان نفسه فلا يستطيع أي إنسان أن يستهدف من نشاطه غير التحرر من حاجته كما يعرفها في ذاته.

***

جدل الإنسان

١ ـ في الكل الشامل للطبيعة والإنسان.

٢ ـ كل شيء مؤثر في غيره متأثر به.

٣ ـ كل شيء في حركة دائمة.

٤ ـ كل شيء في تغير مستمر.

٥ ـ في إطار هذه القوانين الكلية الثلاثة يتحول كل شيء طبقا لقانونه النوعي.

٦ ـ وينفرد الإنسان بالجدل قانونا نوعيا لتطوره.

٧ ـ في الإنسان نفسه يتناقض الماضي والمستقبل.

٨ ـ ويتولى الإنسان نفسه حل التناقض بالعمل.

٩ ـ إضافة فيها من الماضي ومن المستقبل.

١٠ ـ ولكن تتجاوزها إلى خلق جديد.

***

الناس هم أداة التطور الاجتماعي ولا يتم التطور الاجتماعي إلا إذا، وبقدر ما شارك الناس في طرح المشكلات الاجتماعية ومناقشتها ومحاولة معرفة حلولها الصحيحة والمساهمة في العمل اللازم والمناسب لحلها.

***

إن قيادة حركة التطور الاجتماعي الذي يتم عن طريق الجدل الاجتماعي (الجدل المشترك) منوطة بالقوى الجماهيرية المنظمة.

في الهوية والانتماء :

الإدراك المستقر لوحدة التاريخ وحتمية المصير الواحد هو ذلك الذي يخلق الاستقرار النفسي الذي يسمى حبا، لا يظهر إلا بالاستفزاز المعتدى فإذا هو ثورة جارفة تبدو غير معقولة وهي العقل كله لأنها دفاع عن الوجود ذاته وعندما لا يكون ثورة.. يكون شعورا حادا بالانتماء القومي.

***

في الوطن العربي طائفتان اختلفتا فاتفقتا، طائفة تناهض الإسلام بالعروبة وطائفة تناهض العروبة بالإسلام، فهما مختلفتان، وتجهل كلتاهما العروبة والإسلام كليهما فهما متفقتان، وإنهما ليثيران في الوطن العربي عاصفة غبراء من الجدل تكاد تضل الشعب العربي المسلم عن سبيله القديم وأنهما تحرضان الشباب العربي على معارك نكراء تلهيه عن معركة التحرير.

في التحرر :

إن محاولة طرد الشعب العربي واغتصاب الأرض العربية لتوطين بشر مستوردين هو اعتداء على الوجود القومي للأمة العربية لابد أن يرد.

هو انتقاص من المجتمع العربي لابد أن يستكمل.

هو فسخ لعلاقة تاريخية بين الشعب والأرض لابد أن يزول.

ليعود الشعب إلى الأرض وتعود الأرض إلى الشعب فتبقى الأمة العربية كما هي لا أكثر.

***

إن الدعوة للسلام المصحوب باغتصاب الأرض ما هي إلا دعوة زائفة.

***

ليس من حق الشعب العربي كله من الخليج إلى المحيط ولو كان ممثلا في دولة الوحدة أن يتنازل عن أرض فلسطين أو يقبل الوجود الصهيوني على الأرض المغتصبة إنه بهذا يتصرف فيما لا يملكه وحده لأنه ملك مشترك بينه وبين الأجيال العربية القادمة.

***

إن الهدف الإستراتيجي للنضال العربي هو إلغاء دولة إسرائيل وتصفيتها نهائيا.

***

إن الخط الأساسي للنضال العربي الذي يجب أن يبقى متصلا مهما كانت الظروف الدولية التي تحكم عناصر الصراع الأخرى هو مواصلة الاشتباك مع العدو في كل وقت وزمان وبكل أسلوب.. ويصبح متعينا على كل عربي أيا كان موقفه أن يدخل هذا الاشتباك في حياته اليومية وأن يمارس بنفس الاطراد و الإصرار والاستمرار والسهولة أيضا التي يمارس به الاستيقاظ من النوم كل صباح.. أعنى أن يصبح الاشتباك مع العدو وبقصد تحريم الأمن والاستقرار عليه " عادة عربية " عادة على المستوى الجماعي وعادة على المستوى الفردي.

***

إن الدعوة للسلام بصرف النظر عن علاقته بسلامة الأرض (أرض الوطن) دعوة إن لم تكن مثالية منافقة فهي دعوة انهزامية.
وممارسة السلام بصرف النظر عن علاقة السلام بسلامة أرض الوطن إن لم تكن استسلاما للهزيمة فهي خيانة وطنية.

***

عندما تكون أرض الوطن مسلوبة، تصبح الدعوة إلى الحرب التي هي دعوة إلى القتال هي الدعوة الوحيدة الصادقة للسلام.

***

في الوحدة :

إن الحل الصحيح المحدد موضوعيا بالواقع العربـــي لمشـــكلات تطور أمتنا العربية هو دولة الوحدة الديموقراطية الاشـــتراكية، وعليـــه فالقوى التقدمية في الوطن العربي هي القوى التي تناضل من أجل إقامة دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية.

***

من أجل أن تقوم دولة الديموقراطية الاشتراكية يجب : ـ

" استرداد " الأرض العربية المغتصبة.

" تحرير " الأمة العربية من الاستعمار.

" إلغاء " التجزئة الإقليمية.

" تصفية " القطاع الرأسمالي.

" فرض سيطرة " كل الشعب العربي على وسائل الإنتاج.

***

إن للوحدة العربية أعداء متربصين وأنهم يحاربونها بكل سلاح من أول البطش المادي إلى آخر التخريب الفكري.

***

" فلتسقط الإقليمية "، ليس هذا نداء حماسيا أيها الأخوة الوحدويون الواقفون على منطلقات الإقليمية بل إنه إعلان حكم بإعدام الفشل.

***

إن الوحدة لا يمكن أن تتم إلا بين دولتين أو أكثر فهي هدف ثوري واحد يتحقق بعمل ثوري واحد في الإقليمين.. تقوم به منظمة جماهيرية.. ثورية واحدة.. ذات قيادة واحدة.

***

في الاشتراكية :

الاشتراكية العربية هي سيطرة الشعب العربي على كل وسائل الإنتاج بالتخطيط الاقتصادي الشامل لإشباع حاجاته المادية والثقافية المتجددة والمتزايدة أبدا في دولته الديموقراطية.

***

إن الاشتراكية العربية تحتم أن يوضع إمكانية الوطن العربي كلها في خدمة الرخاء والحرية للشعب العربي كله ... وطبقا لها لا يملك أي جزء من الشعب العربي وسائل الإنتاج المتاحة في الإقليم الذي يعيش فيه ملكية إقليمية خاصة بل هي ملك الأمة العربية ككل.

***

إن قوى الإنتاج ووسائله وأدواته في الوطن العربي بين أيدي مغتصبة ومستغلة عنيدة تحمى اغتصابها واستغلالها بقوى البطش الخارجي أو بقوى البطش الإقليمي.. ويكون لابد للاشتراكيين من أن يحرروا قوى الإنتاج في الوطن العربي من الاحتلال والاغتصاب وأن

يستردوها من القوى الإقليمية ليستطيعوا أن يضعوها جميعا تحت سيطرة الأمة العربية ككل.. أي لابد أن تكون ثورتهم الاشتراكية ثورة تحررية وحدوية.

***

إن القطاع العام هو أداة التطور الاقتصادي الاشتراكي الذي لا يستهدف الربح بل يستهدف إشباع احتياجات الشعب المادية والثقافية المتزايدة أبدا.

***

الإنسان هو غاية النشاط الاقتصادي في النظام الاشتراكي.. من هنا فهو لا ينظر إلى قوة العمل على أنها سلعة مطروحة للبيع في سوق النخاسة الذي يقيمه الرأسماليون لمن لا يملكون إلا قوة عملهم.

***

العمال في النظام الاشتراكي ليسوا مجرد منتجين بل هم منتجون لما يستحقون لأنهم أنتجوه.. إن عائد النشاط الاقتصادي من حقهم.. بعض يأخذونه أجورا.. وبعض يأخذونه خدمات.. وبعض ينمون به اقتصادهم.

***

إن الاشتراكية العربية تحتم أن توضع إمكانيات الوطن العربي كلها في خدمة الرخاء والحرية للشعب العربي كله.. وطبقا لها لا يملك أي جزء من الشعب العربي وسائل الإنتاج المتاحة في الإقليم الذي يعيش فيه ملكية إقليمية خاصة بل هي ملك كل الأمة العربية ككل.

***

إن ملايين العمال والفلاحين والمثقفين الاشتراكيين والمواطنين لن يسمحوا بتصفية القطاع العام.

لن يقبل الوطنيون بأن يوضع مستقبل مصر العربية تحت رحمة الرأسمالية العالمية.

***

إن الحرب قد انتقلت إلى جبهة القطاع العام.. وهو في مكان القلب من الغايات التي يريد الصهاينة والأمريكيون الإمبرياليون تصفيتها بالحرب التي يشنونها علينا.. على هذا الأساس يعرف كل واحد أين موقعه ومن حلفاؤه ومن أعداؤه ويبين بأكبر قدر من الوضوح أنه ليس الصهاينة وحدهم هم أعداء هذه الأمة.

***

إن الوطنية من حيث هي مشاركة تعنى أن لكل فرد حقا وطنيا في أن يعمل فتكون البطالة مناقض للوطنية.. وتكون السلبية مناقض للوطنية..

***

إن محاولة الاستيلاء على بعض الوطن أرضا أو مصادر إنتاج أو عمل هو خيانة ومناقض للوطنية.

***

في الثورة :

أول دلالات الولاء الصادق للجماهير الكادحة الالتحام بها، والوقوف في منطلقها والتزام غايتها.. وإلا فلمن الولاء ؟؟

إن الثورة العربية كطريق للوحدة.. لابد أن تكون ثورة تحررية وحدوية اشتراكية كمضمون عقائدي.

***

الثوريون العرب.. هم تلك الفئة من المثقفين العرب الذين إذا أرادوا التحرر فإنهم يقاتلون الاستعمار ويرفضون شرعية الاستعمار ويستمدون شرعية نضالهم من شرعية الثورة عليه..

وإذا كانوا يريدون إلغاء إسرائيل واسترداد فلسطين فإنهم لا يلزمون أنفسهم بالاتفاقات والمواثيق والقوانين التي أوجدت إسرائيل وتولت حمايتها إنهم يرفضون شرعية الاغتصاب ويعتبرون محق إسرائيل مصدرا كافيا ووحيدا لتحقيق الحرية.

وإذا كانوا يريدون الوحدة.. فإنهم يرفضون أن يلتزموا في نضالهم من أجلها بتلك الدساتير والقوانين التي تجسد التجزئة وتحميها.. إنهم يرفضون شرعية الدولة الإقليمية ويعتبرون دولة الوحدة هي المصدر الوحيد لشرعية نضالهم.

وإذا كانوا يريدون الاشتراكية فإنهم يرفضون القوانين والنظم التي صاغتها الرجعية العربية حماية ودعما لاستغلال الجماهير ويعتبرون نضالهم مشروعا بقدر ما يحرر الجماهير من الفقر والقهر الاقتصادي والاستغلال.

***

القتال ضد الاستعمار والصهيونية من أجل التحرر والتحالف مع عديد من القوى التي تناهضهما مع التحضير لمعركة الوحدة فور التحرر.. والحيلولة دون أن يتم التحرر لحساب التجزئة.

النضال ضد الإقليمية ومن أجل الوحدة والتحالف مع العديد من القوى التي تناهضهما.

والنضال في نفس الوقت من أجل التحول الاشتراكى في الأقاليم المحررة والصراع ضد التخلف والاستغلال من أجل الاشتراكية العربية هذا هو نضال الطليعة العربية تحت شعار (الحرية ـ الوحدة ـ الاشتراكية معا).

***

إن الضمان الوحيد لاستمرار الحركات التقدمية بعد غياب القادة هو بقاء القوى التقدمية ملتحمة في أداتها الثورية التحاما لا يتوقف وجودا وعدما على بقاء القادة.

***

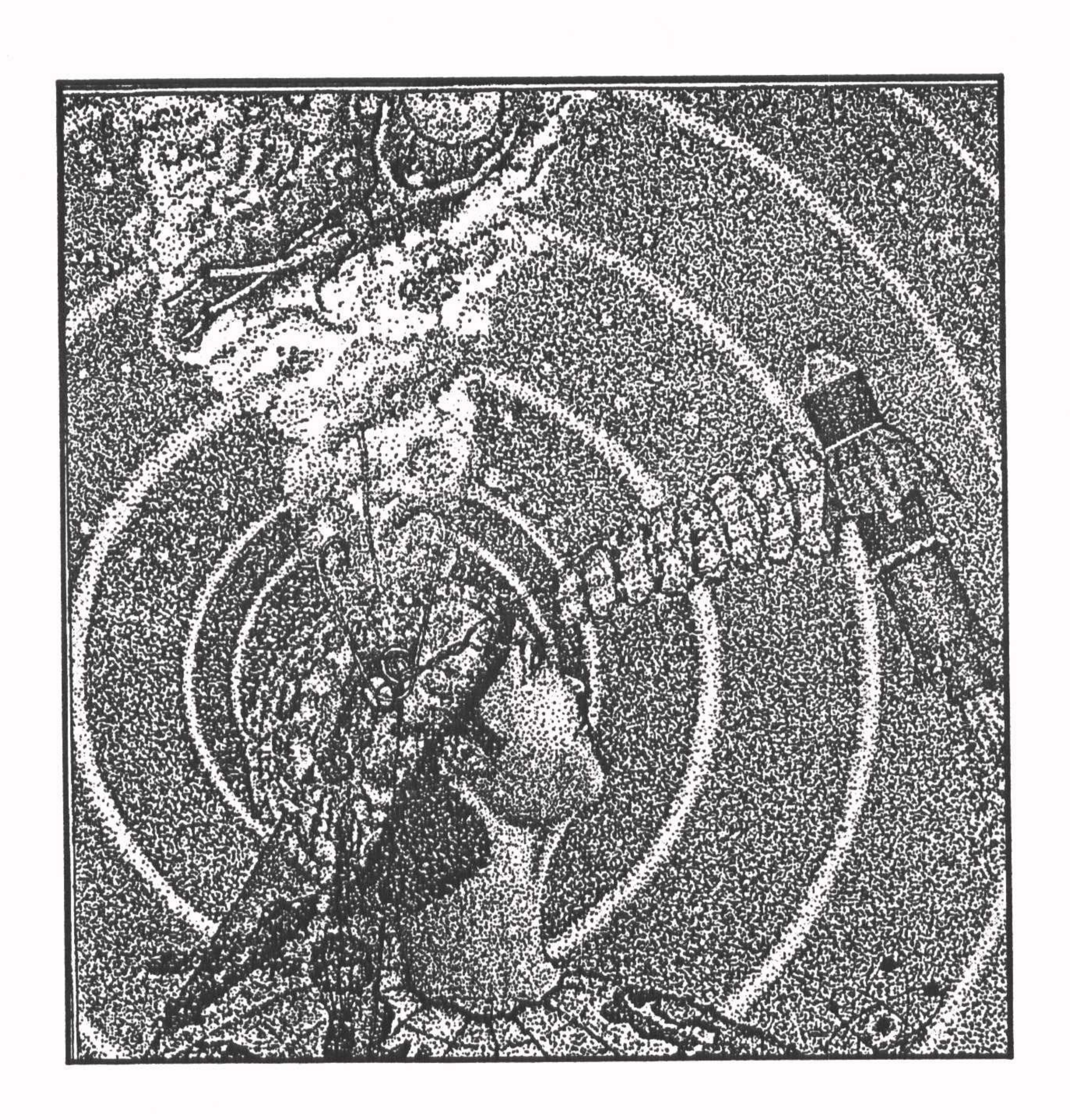
وأخيرا..

فإني اعتذر عما أشرت إليه أكثر من مرة من آراء سبق أن قلتها فأنى أبحث لنفسي عن براءة كاذبة.. وعذري في هذا أنني أحاول أن استرد ثقتي المفقودة بالمستقبل، أحاول أن أقول لنفسي إذا كانت رؤيتنا قد صحت من قبل فإن الانسحاب صمتا أو اعتزالا هو انهزام لا ينبغي

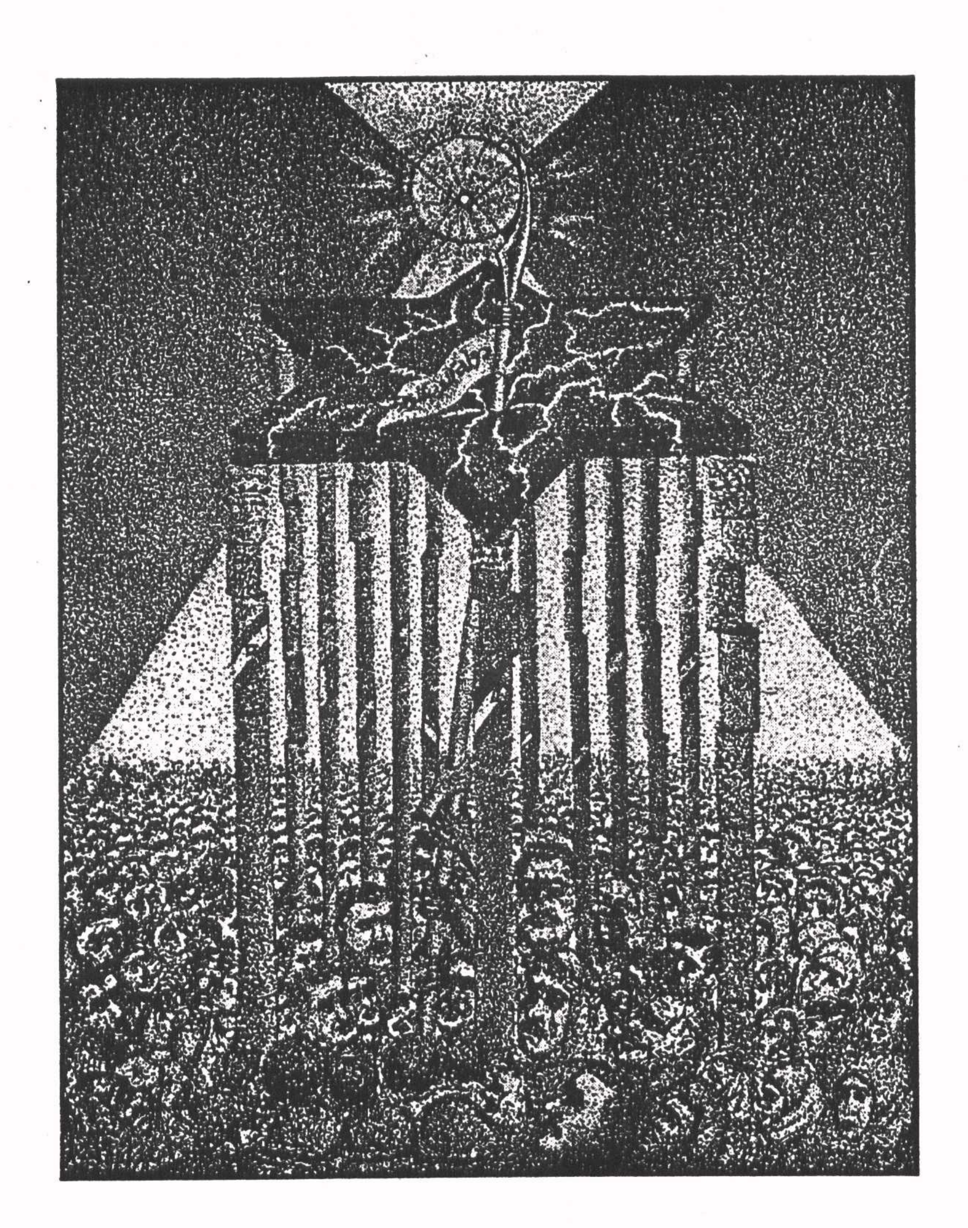
لقوى أن يقع فيه.. بينما يوشك الإقليميون أن يجروا الأمة كلها إلى مواقع الاستسلام وأننا لعلى قدر من المقدرة في مواجهة معارك العقول.. ثم أنني أخاطب الجيل العربي الجديد.. وهو قادر بأن يذكرني بما كنت أذكره في مثل سنه.. قولا تعلمته من شاب عربي بدأ نضاله على ضفاف النيل ضد إمبراطورية لم يكن يجرؤ أحد على تحديها..

عندما قال " **لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس** "

د. عصمت سيف الدولة



« جدل الإنسان » بريشة: أحمد أراجة



« الثورة العربية بين الواقع والأمل » بريشة: أحمد أرلاجة

رجل من العرب

فيلسوف الثورة العربية

كانت الثورة العربية تحلق في السماء بأهدافها في الوحدة والتقدم والحرية فكان هو الذي أنزلها وقدم لها بدلا من الأجنحة قدمين تسير بهما على أرض الواقع.

كانت أزمة القوميين العرب في نقاشهم مع الشيوعيين في غياب النظرية فكان هو الذي أنهي الأزمة فوضع بين يدي القوميين نظرية الثورة العربية يواجهون بها خصومهم أصحاب النظرية الماركسية.

وكانت المادية الجدلية هي الفلسفة المسيطرة على نقاش المثقفين العرب التقدميين فكان هو الذي أنهي الاحتكار بأن أبدع جدل الإنسان لتصبح هي الفلسفة السائدة في النقاش.

وكان في جدل الإنسان أول من تنبأ بسقوط الفكر الماركسي قبل ثلاثين عاما لأنه بالدرجة الأولى يخرج الإنسان من الحساب أما جدل الإنسان فلقد وضعت الإنسان داخل كل حساب لم تعد المادة هي التي تتطور وتجر وراءها الإنسان كما كان يقول ماركس بل من يتطور هو الإنسان دافعا أمامه كل مواد التقدم كما يقول عصمت سيف الدولة ولذلك فإنه بقدر ما كرهه الشيوعيون أحبه القوميون لأنه بقدر ما جرد الشيوعيين من السلاح بعد أن كشف أنه مثلوم ـــ بقدر ما أعطى القوميين من سلاح حاد.

كان ماركس هو صاحب النظرية الأممية التـي يرفعهـا الشـيوعيون مرددين شعاره " يا عمال العالم اتحدوا "فأصبح عصمت سيف الدولة صاحب النظرية القومية التي يرفع القوميون شعارها " يا عرب الوطن اتحدوا ".

ومنذ منتصف الستينات أصبح على كل مثقف قومي أن يتسلح بنظرية الثورة العربية. ذلك الجهد الفكري الهائل الذي جمع فيه عصمت سيف الدولة فأوعى ولم يعد أي مثقف قومي يستحق أن يكون كذلك دون قـراءة نظريـة الثورة العربية وعصمت سيف الدولة ــ فيلسوف الثورة العربية ــ صعيدي من أسيوط نفس المحافظة التي أنجبت جمال عبد الناصر الذي كان قد دعـا المفكرين العرب إلى الاجتهاد في إبداع نظرية عربية قائلا بتواضع آسر إن هذه ليست مهمته وإنما هي مهمة يقوم بها الباحثون بأدواتهم المعرفية وبوقتهم المكرس للبحث وهو ما كان يفتقده عبد الناصر الذي أعطى للثورة العربيـة كل طاقته لينجز بها الوحدة العربية ويحقق بها الاشتراكية والحرية وكانـت استجابة عصمت سيف الدولة لنداء القائد هـي المحاولـة الرصـينة التـي استعرضت الفلسفات الإنسانية وناقشتها لتصل منها إلى إبداع فلسـفة جـدل الإنسان الذي هو أساس نظريته الذائعة الصيت " نظرية الثورة الغربية " التي كانت أكثر المحاولات الفلسفية أصالة وفهما ودقة فبالرغم مـن محـاولات كثيرة لغيره من المفكرين العرب فإن إبداعات الدكتور عصمت سيف الدولة تشكل التاج على رأس كل المحاولات... أما هو وقد اقترب من السبعين فإن عارفي فضله وتلاميذه يتمنون أن يعيش لهم مائة سنة أخرى لـيس فقـط ليبدع ويضيف إلى الفكر القومي وإنما أيضا ليوصل بنبالة أميـر وشـهامة صعيدي الدفاع أمام القضاء المصري والعربي عن أصحاب المبدأ حتى وإن اختلف معهم فعصمت سيف الدولة هو الذي دافع عن الشيوعيين فـي أكبـر قضاياهم بنفس الحماس الذي دافع به عن القوميين فـي قضـاياهم الكبـرى وعصمت سيف الدولة هو ذاك العملاق الأسمر القادم مـن أرض التـاريخ العربي والفرعوني ليس ليدعو لتوحيد البرين وإنما لوحدة كـل الأبـرار.. كـل العرب ..

عصمت سيف الدولة ..

مناضل من أجل حرية الإنسان

بقلم دكتور/ صفوت حاتم

" لست أشك لحظة واحدة في أننا حين نحصد حصادنا ذات يوم لنلتمس بين سنابله وأعواده " فلسفة عربية " سيكون الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه " أسس الاشتراكية العربية " بين الطلائع القوية التي أسهمت في تكوين الفلسفة العربية المعاصرة ".

١- بهذه الكلمات المعبرة القوية تناول فيلسوف الوضعية المنطقية التي لا تحترم إلا الحقيقة العلمية الدكتور " زكى نجيب محمود " بالعرض والتحليل أفكار منهج جدل الإنسان الذي أبدعه المفكر القومي والمصري المولد " عصمت سيف الدولة ". ولكن هل كان يدور بذهن شيخ الفلاسفة العرب المعاصرين الدكتور " زكى نجيب محمود " أن نبوءته التي جاءت في منتصف الستينات عن فكر" عصمت سيف الدولة " ودوره في الفكر السياسي العربي سوف تتحقق ؟

لا ينكر أحد داخل مصر أو خارجها الدور الرائد الذي لعبه المفكرون المصريون في تشكيل صورة الفكر العربي خلال القرنين الفائتين. فلقد كانت الأفكار والمعارك الفكرية التي تموج بها الساحة الفكرية في مصر. سرعان

ما تجد صداها في المحيط العربي بين مؤيد ومـــتحمس. أو بـــين معـــارض ومعاند.

٢ـ ان الدارس المدقق لحركة الفكر المصري المعاصر سيكشـف أن هذا الأخير لم ينجح في خلق تيارات وحركات سياسية تتعدى حدود الإقليمية المصرية إلا في حالات ثلاث فقط : الحالة الأولى هي حالـــة تيـــار الفكـــر الإسلامي الذي أسسه الأستاذ " حسن البنا ". أما الحالة الثانية فهي حالة التيار الناصري الذي نشأ حول فكر ومواقف وسياسات الزعيم الراحل جمال عبـــد الناصر. أما الحالة الثالثة فهي حالة التيار القومي التقدمي الذي نشـــأ حـــول أفكار المفكر القومي المصري المولد " عصمت سيف الدولة ". وحقيقة الأمر أن الإعجاب بكتابات وأفكار " عصمت سيف الدولة " لا يتوقف عن حـــدود الدكتور زكى نجيب محمود بل تعداه إلى العديد من المثقفين العرب والمئات من الشباب العربي على امتداد الساحة العربية بأكملها فهو المفكر القومـــــي -الوحيد تقريبا- الذي استطاعت أفكاره أن تنفذ عبر الحدود الإقليمية لتشكل حركة سياسية قومية تنتمي لأفكاره دون أن يكون وراء هذا الانتشار تنظـــيم سياسي يعمل على الاستقطاب النخبوي والجماهيري للفكر كما حدث -مثلا - في تجربة الأستاذ " ميشيل عفلق " وحزب " البعث العربي " فـــي المشـــرق العربي في الأربعينيات من القرن الماضي.

٣ـ وربما كان " عصمت سيف الدولة " هو المفكر المصري -الوحيد تقريبا- الذي نجحت أفكاره في استقطاب المئات من المتحمسين اعتمادا على جاذبية أفكاره وتماسك منهجه الفكري وحدته على عكـــس ما حـــــدث -مثلا - في تجربة الفكر الإسلامي الذي صاغه الأستاذ " حسن البنا " فـــي الأربعينيات من القرن الماضي، والذي كان تنظيم " الأخوان المسلمين " هو الرافعة التي انتقلت بهذا الفكر من الحدود المصرية إلى العـــالمين العربـــي والإسلامي ليصبح بحق أول تنظيم " فوق قـــومي " أو " عـــابر القوميـــة " بتعبيرات الفكر السياسي الحديث.

منهج جدل الإنسان

٤ـ أما المنهج الذي أبدعه " الدكتور عصمت سيف الدولة " وكان مدعاة لاعجاب فيلسوف الوضعية المنطقية " زكي نجيب محمود " ومئات المثقفين(والحكام العرب) فهو منهج " جدل الإنسان "

وفكرة جدل الإنسان مبسطة تقوم على حكم استخلصه فليسوفنا الراحل من التضاد القائم بين فلسفتين كانا لهما حظ كبير من الذيوع والتأثر الفكري في القرنين التاسع عشر والعشرين هما الفلسفة " الجدلية المثالية " التي أبدعها الفيلسوف الألماني " هيجل " والأخرى هي الفلسفة "الجدلية المادية" التي أبدعها " كارل ماركس ". الأولى تقصر التطور أو "ا لجدل" على مسار الفكر الخالص وحده. والثانية تقصر التطور على مسار المادة وحدها. وعلى هذا فان الدكتور عصمت سيف الدولة يعتبر أن كلا من الفلسفة المثالية والفلسفة المادية قد بدأتا من فرضيتين متافيزقيتين مختلفتين. وان كانت موحدتي النتائج فالفلسفة المثالية تأخذ بأولية أو أسبقية الفكر على المادة. والفلسفة المادية تأخذ بأسبقية المادة على الفكر. أما عصمت سيف الدولة فيشارك الوضعيين اعتقادهم أن حسم تلك القضية لا يخضع للإثبات العلمي والتجربة العلمية. ومن ثم فتقدير أسبقية أحدهما على الآخر في الوجود هو نوع من الغيبية "الميتافيزيقية" التي لا تستند على وسائل العلم وطرقه في البحث. بل أن هذا التقدير لا يعدو أن يكون مجرد استنتاجات عقلية مهما ادعت استنادها على العلم.

٥ـ ويقرر عصمت سيف الدولة أن الطبيعة بدون الإنسان ليست "متطورة" بل هي " متحولة " من شكل إلى آخر. إذ أنه يفرق في هذا الصدد بين معنيين : "التطور" و" التحول ". فالتطور هو حركة ذات إضافة كيفية. أما التحول فهو حركة بدون إضافة جديدة.

وعلى هذا الأساس لا يمكننا فهم تطور الطبيعة بدون وجود الإنسان. عدا أنه الكائن الوحيد الذي يتدخل في الطبيعة ليعيد تشكيلها وفق إرادته. ولو لم يجد الإنسان ووعيه لبقيت الطبيعة " متحولة " وفق قوانينها النوعية.

وبعد أن يثبت " عصمت سيف الدولة " أن المادة غير جدلية وبعد أن يرفض الجدل المثالي يمضى لبناء منهجه الفكري الذي يقوم على أن الجدل يقوم في الإنسان. فالإنسان مدفوع دائما إلى إشباع حاجته المادية والمعنوية. وأن هذا هو الباعث على حركة الإنسان وتطوره. إذ أن إشباع حاجات معينة ـ سواء كانت مادية أو معنوية ـ يعنى انبثاق حاجات جديدة وهكذا إلى مالا نهاية.

الحرية الإنسانية

٦ـ ويأتي الجدل من رغبة الإنسان التحرر من ظروفه وإشباع رغبات جديدة. ان عصمت سيف الدولة لا يفهم " الحرية الإنسانية " كما فهمه الوجوديون على أساس من المنطق القائل " بحرية الفعل الإنساني " بل نراه يفهم الحرية على أساس أنها " تحرر من. آي أنه بالقدر الذي يتحرر فيه الإنسان من حاجاته ـ بإشباعها وليس بتجاهلها ـ بقدر ما يحقق من حريته ويحدث التطور عندما يستخدم قدراته الجدلية.

من الجدل إلى التنبؤ العلمي

ولقد مكن منهج " جدل الإنسان " الدكتور عصمت سيف الدولة من إنشاء كتابات ذات طابع علمي صارم أدت به إلى نتائج وتوقعات دقيقة ومبكرة لعديد من القضايا السياسية التي عاشتها الأمة العربية. وفي حوار شخصي لي معه قبل شهور قليلة من وفاته. أكد لي يقينه التام من أنه لن يمر الربع الأول من القرن الحادى والعشرين إلا وتكون الأمة العربية قد حققت وحدتها السياسية وأقامت دولتها الواحدة.

وعندما أبديت له دهشتي متسائلا : كيف هذا يا دكتور عصمت. وسط كل ما نشهده من تفتت وطائفية وما تعانيه الأمة العربية من هزائم وإذلال تحدثنا أنت عن وحدة عربية قادمة خلال ربع قرن أو حتى قرن كامل ؟.

فلما أبديت استغرابي من هذه المقولة أخذ يشرح لى حججه في هذا الصدد، ولست أريد الدخول تفصيليا فيما قاله، ولكنني واحد من هؤلاء القوميين العرب من الذين يعتقدون في توقعات " عصمت سيف الدولة " المنهجية وخبروها في مواقف كثيرة ومنها ما كان يبدو " كالنبوءة ".

لماذا أذكر هذه النبوءة بالذات ؟..

٧- لسبب ربما يعرفه من يطالعون كتابات عصمت سيف الدولة بانتباه، وهو قدرته غير المسبوقة على التنبوء (أو توقع) بأحداث كثيرة قبل حدوثها بعشرات السنين.

من كان يتنبأ عام ١٩٧٠ أن المقاومة الفلسطينية سوف تعترف بالعدو الصهيوني وتقيم معه معاهدات وعلاقات ومفاوضات. من يقرأ مقاله الشهير " المقاومة الفلسطينية من وجهة نظر قومية " الذي نشر عام ١٩٧٠ ثم نشر بعد ذلك في كتاب " التقدم على الطريق المسدود " يدرك كيف كانت بصيرة هذا الرجل المنهجية قادرة على توقع في الإقليمية في تركيبة المقاومة الفلسطينية وما ستفعله من خسائر ؟ من كان يتنبأ أن معاهدة كامب ديفيد ستؤدى إلى انهيار كامل في بنية النظام العربي وبنية المجتمع المصرى كما تنبأ " عصمت سيف الدولة " في مرافعته السياسية والدستورية والقانونية وهي الوثيقة التي حصلت عليها بعد ذلك بعنوان " هذه المعاهدة " التي أرسلها إلى نواب مجلس الشعب المصرى قبل أن يصوتوا على المعاهدة في مارس ١٩٧٩ يحذر فيها أعضاء مجلس الشعب من مخاطر الموافقة على الاتفاقية ويقول لهم أن مصر ستدفع ثمن هذه الاتفاقية من وحدتها الوطنية.. وقد حدث..

أذكر أيضا هنا نبوءة كان قد تنبأ بها عام ١٩٨٢ حينما غزت إسرائيل لبنان أيامها كتب " عصمت سيف الدولة " مقالة شهيرة بعنوان " أيها الشباب العربي هذه فرصتكم لتحرير فلسطين" يقول فيها ان إسرائيل قد قامت لأول مرة بالدخول في تخوم سكانية وعرة وأنها فرصة " تاريخية " لبدء حرب شعبية تبدأ بلبنان ولا تنتهي فيه. والمتابع لما يحدث في إسرائيل يعرف كيف

أنهم يشبهون التورط الإسرائيلي في لبنان بالتورط الأمريكي في فيتنام، بل أن كاتبا إسرائيليا يسميها " الحرب التي خسرناها " واعتقد أن حزب الله هو الذي فهم هذه" الرسالة " التي لم يفهمها الكثيرون.

ماذا يعنى كل هذا بالرجوع " النبوءة " الوحدة العربية خلال ربع القرن القادم ؟.

ان ما أريد أن أقوله هنا أن عصمت سيف الدولة لم يكن يتنبأ بأحـداث بل كانت موهبته النادرة، وغير المسبوقة في رأيى، هي قدرته على " التوقع المنهجى ". انه المفكر العربي الوحيد ــ وأنا أقول هذا بكل ثقة ــ الذي كان قادرا على تطبيق منهجه الفكرى بشكل عبقرى ليخرج منه وبه " بتوقعات " مذهلة..

مناضل من أجل حرية الإنسان

٨ــ لم يكن " عصمت سيف الدولة " مفكرا أو فيلسوفا معـزولا عـن الواقع والناس ومشاكل أمته العربية. أو فيلسوفا ينادى بالحريـة الإنسـانية دونما التزام سياسى أو تضحية مستمرة، أبدا. لقد وظف عصمت سيف الدولة موهبته القانونية النادرة (والتي شهد لها فقهاء القانون في العالم العربـي) لخدمة قضايا الحرية عندما كانت هذه الأخيرة تستدعى وجوده. لهذا وقـف " عصمت سيف الدولة " يدافع عن الشعب الذي خـرج فـي ١٨و١٩ ينـاير ١٩٧٧ ليدافع عن حقه في العيش بكرامة أمام من سموا انتفاضته " بانتفاضة الحراميه " لقد وقف" عصمت سيف الدولة " يشير بأصابع الاتهام إلى المجرم الحقيقي الذي هدد لقمة عيش المواطن، ولأول مـرة فـي تـاريخ القضـاء المصري ينجح عصمت سيف الدولة في إبطال الأخذ بالصور الفوتوغرافية كدليل اتهام بعد أن نجح في إثبات سهولة تزوير الصور أو صنعها بما يأتي مع مصلحة أجهزة الأمن أو الادعاء. وهي المرافعة التي نشرت فيمـا بعـد تحت عنوان " دفاعا عن الشعب ".

وسيترافع " عصمت سيف الدولة " " متطوعا " عن المتهمين فيما سمى بقضية "الحزب الشيوعي المصري" على الرغم من خلافه العميق "منهجيا " مع الشيوعية والشيوعيين (ومنهم من كان لا يحمل ودا ـ قليلا أو كثيرا ـ لفكر " عصمت سيف الدولة " وهي المرافعة التي نشرت فيما بعد تحت عنوان" دفاعا عن الوطن ".

وهكذا ستتوالى مرافعاته القانونية أمام المحاكم المصرية " مدافعا " عن كل ضحايا الاستبداد والظلم من كل الاتجاهات السياسية.

لتبقى مرافعاته نماذج رفيعة من الأدب القانوني والدستوري والسياسي والاجتماعي بل وفي علم النفس وعلم الاجتماع لقد كان " عصمت سيف الدولة " مناضلا من أجل الحرية. ودفع من أجل إيمانه بالحرية ثمنا باهظا.

الموقف من التجربة الناصرية

٩ـ وعلى الرغم من أن فكر " عصمت سيف الدولة " يمكن أن يحسب بشكل عام داخل إطار الفكر القومي التقدمي الاشتراكي الذي فجرته تجربة الزعيم الراحل " جمال عبد الناصر وممارساته السياسية خلال عقدى الخمسينات والستينات.إلا أن أفكار " عصمت سيف الدولة " ستظل مطبوعة باجتهاد صاحبها وشخصيته واستقلاليته المنهجية.

على أية حال سيصدر " عصمت سيف الدولة " قبل نكسة يونيو / حزيران كتبه " أسس الاشتراكية العربية و "الطريق إلى الاشتراكية" و"الطريق إلى الوحدة " و " الطريق إلى الديموقراطية ".. أو سيادة القانون في الوطن العربي " لتكون تأصيلا رائقا وإبداعا أصيلا لما كان يقوله ويفعله عبد الناصر. دون أن يسمح لنفسه بالدخول في جوقة المهللين والمصفقين لعبد الناصر.

ولقد ظلت مسألة تمايز " الدكتور عصمت سيف الدولة " عن تجربة " جمال عبد الناصر " أحد القضايا " الغامضة : التي تشغل بال الكثيرين. حتى

أجاب هو عليها في سنواته الأخيرة حين أصدر كتابه " عن الناصرين واليهم " وفيه يقول :" حينما كانت الحركة الجماهيرية القومية منتصرة تحت قيادة عبد الناصر كتبت ما كتبت حاثا ومحرضا جماهير الأمة العربية وقيادتها على عدم التوقف عند الوحدة الجزئية، وعدم الاكتفاء بوحدة القيادة ووحدة الحركة بدون وحدة التنظيم. وساندت بالدراسات المكتوبة التي لم تنسب إلى قط كثيرا من القوى القومية المناضلة ضد التجزئة في كثير من الأقطار العربية. ولم أكتب شيئا قط عن مصر تحت قيادة عبد الناصر التي كانت الأمة العربية قد كسبتها قاعدة قائدة انصرفت فيها إلى تأصيل الوحدة وتبرير التضحيات من أجلها والتوحيد بينها وبين النصر في كل معارك التحرر والتقدم.. وقد عوتبت أيامها على أننى لم أذكر في كتبي لا مصر ولا الميثاق، ولا حتى عبد الناصر، وكان المعاتب صديقا قديما لى ومن أقرب الناس إلى عبد الناصر ؛؛ (علامات التعجب من عند كاتب الدراسة). وكان جوابى أنى أقاتل بما أكتب في سبيل أمتى ووحدتها القومية حيث تدور المعارك مع الأعداء واحتمالات النصر أو الهزيمة. ولست معنيا، ولا أنا أجيد ترتيل أناشيد النصرللمنتصرين.. ومصر عبد الناصر(١٩٦٦) منتصرة فهي في غير حاجة إلى وخسرت كثيرا وكثيرين لم يفهموا ذلك الموقف. ولكنى لم أعبأ بالتوقف لمعرفة ماذا ومن خسرت.. كان الأكثر استحقاقا للانتباه مساندة الحركة المنتصرة حتى يتحقق النصر الأخير.. فرأي من رأي أننى أستحق لقب " قومي " وكان ذلك بالنسبة إلى كسبا عظيما ".

١٠ـــ ولكن قبل أن ينتقل عبد الناصر إلى رحاب ربه بسنوات قليلة كان قد مر بأكثر معاركه مرارة وألما : نكسة يونيو / حزيران.. الهزيمة التي مزقت كثير من الأفئدة والقناعات في الوطن العربي.

وراح " المنافقون " والمهتز ون والمذبذبون يخوضون في أسباب النكسة بغرض تصفية حساباتهم مع عبد الناصر. ووجدت فيها منظمات وأحزاب طالما نافقت عبد الناصر الفرصة متاحة للانتقام من الرجل الذي حكم عليها بالذيلية الجماهيرية لسنوات طويلة. وهكذا ظهرت المعلقات اليسارية عن " البورجوازية الصغيرة المنهزمة " ونظريات " الحرب الشعبية " والمقاومة الفلسطينية التي سترد على هزيمة البورجوازية الصغيرة وتحرير

فلسطين الذي سيفتح الطريق للوحدة العربية ؟؟.. إلى آخر " المعلقات " التي أطلقتها في ساحة العمل السياسي كل الفئات الصبيانية المنفلتة في الأحـزاب التي همشتها زعامة عبد الناصر وقيادته للجماهير العربية.

١١ـ وسط هذه " الهزيمة العسكرية " تمالكت الجماهير العربية نفسها وطالبت قائدها بالاستمرار في القيادة ومواجهة الهزيمة. ووقف القائد وبدأ في مواجهة الهزيمة رغم آلامه الشخصية وكان لابد له من أن يعيد النظر كاملا في بنية الدولة والمؤسسات التي شيدها بنفسه وبالثغرات التي سمحت للعـدو بالنفاذ منها وتحقيق نصره. لحظة شاملة من مراجعة الـنفس قادهـا عبـد الناصر مع فكره ودولته ومؤسساته (مراجعة يعرفها الكثيرون ممن اهتموا بفكر الرجل وحياته).ووقف في نفس الخط ـ نقد الذات ـ كـل القـوميين الذين هزتهم " الهزيمة " فلم يستسلموا لردود الفعل المرتاعة التي استسـلمت لها " الجملة المثقفة الطفولية "

لقد اتضح " لعبد الناصر" وكل القوميين العقائـديين أن هنـاك ثغـرة واضحة ومفتوحة في بنية الثورة. وكم خرجت الجمـاهير تطالـب " عبـد الناصر " الاستمرار في موقعه في ٩ و١٠ يونيو ١٩٦٧ خرجت مرة أخرى تطالبه بمحاسبة المسئولين عن الهزيمة في مظاهرات ١٩٦٨.

وكان من هؤلاء " عصمت سيف الدولة "

لقدر أدرك " عصمت سيف الدولة " بشكل واضح طبيعة الخلـل فـي الدولة الناصرية. إنها " الأجهزة الأمنية " التي حاولت أن تحجز القائد عـن جماهيره وبكل وسائل النفاق والقهر والبيروقراطية.

الموقف من السادات

١٢ـ ولن يكون صعبا والحال هكذا. أن نتصور كيف يمكن أن يكون رد فعل أجهزة الدولة الناصرية على هذا النقد الذي كان قد قام به " عصمت سيف الدولة " في كتيب نشر بعد نكسة يونيو مباشـرة بعنـوان " بيـــان طارق ".

ولم تغفر أجهزة الدولة التي كان قد استلمها السادات لعصمت سيف الدولة انتقاداته لها. ليقبض عليه في الأيام الأولى لحكم " السادات " ويتهم بإنشاء" تنظيم قومي " هدفه قلب أنظمة الحكم في الوطن العربي. ليصبح ما سمى " بتنظيم عصمت سيف الدولة " أول تنظيم يتم القبض عليه في عهد الرئيس السادات ويتم محاكمة أفراده والحكم عليهم بسنوات طويلة من السجن ثم يتم العفو عنهم بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.

١٣ـ فمنذ منتصف السبعينات سيكرس عصمت سيف الدولة عددا لا بأس به من كتاباته الفكرية في الدفاع عن منجزات عبد الناصر وفي ذات الوقت سيستنفذ عدد كبير من " رجال عبد الناصر " كل مواهبهم في " كتابة مذكراتهم الشخصية " للتدليل على درجة قربهم من " الزعيم ". كان " عصمت سيف الدولة يكرس كل جهده الفكري في الدفاع عن إيجابيات حقبة عبد الناصر ومواجهة حملة المرتدين والمشبوهين الذين اعتلوا عرش الصحافة والإعلام المصري خلال حقبة السادات. ومن أجل هذا الهدف سيصدر كتابه الممتاز " هل كان عبد الناصر ديكتاتورا " للدفاع عن تجربة البناء الاشتراكي التي قادها عبد الناصر ومواجهة الحملة التي كان يشنها اليمين واليسار في آن واحد تحت دعاوى الديموقراطية. وسيصدر بعد هذا الكتاب تقييمه وموقفه من تجربة الديموقراطية الشعبية في عهد عبد الناصر تتضمن تقييما فكريا تاريخيا فلسفيا واجتماعيا وقانونيا سيظل في رأيى أكثر ما كتب في هذا الموضوع جدة وجدية (في كتابيه : هل كان عبد الناصر ديكتاتورا..؟ والأحزاب ومشكلة الديموقراطية).

١٤ـ وسيكتب عصمت سيف الدولة يدافع عن القطاع العام وحق الشعب فيه محذرا من الهجمة التي كانت تعد بليل للقضاء على القطاع العام قبل أن تتحقق النبوءة ويباع القطاع العام في هجمة " الخصخصة " بأرخص الأثمان لكي تكتظ حسابات المافيا المصرية في بنوك سويسرا من دم الشعب المصري (كتيب : رأسماليون وطنيون، ورأسمالية خائنة).

وسيكتب عن الصلح مع العدو الصهيوني الذي قاده السادات أعمق دراسة قانونية وسياسية تناولت معاهدة " الشؤم " كامب ديفيد (كتاب : هذه المعاهدة) .

وسيكتب يحذر مرة أخرى منظمة التحرير الفلسطينية من مخاطر الاعتراف بعدوها الصهيوني (الاعتراف المستحيل).

وغير ذلك كثير. وبسبب هذه المواقف المعارضة لسياسة السادات سيجد " عصمت سيف الدولة " نفسه مرة ثانية في سجون السادات عام ١٩٨١ مع كل فصائل المعارضة السياسية من اليمين واليسار ومن المسلمين والمسيحيين.

عصمت سيف الدولة أديبا

وحينما طلبت مؤسسة " دار الهلال " من الدكتور " عصمت سيف الدولة " كتابة سيرته الشخصية. آثر كتابة السيرة الذاتية لقريته " الهمامية " التي صدرت في جزئين : الأول بعنوان " مذكرات قرية والثاني بعنوان " مشايخ جبل البداري ". وقد قال عنها الأديب " حمال الغيطاني " إنها تكشف عن أديب متمكن ذو ذاكرة أدبية لاقطة تحتفظ بتفاصيل تمر على الكثيرين بدون أن يلحظوها رغم أنهم معا يشون لها.. إنها ترجمة ذاتيه فريدة في الأدب العربي.. هذا الكتاب الأدبي الجميل العلمي الموسوعي على صغر حجمه أفضل مدخل ليس لفهم الصعيد فقط ولكن لفهم مصر أيضا ".

ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا العمل الأدبي " الوحيد " الذي كتبه " الدكتور عصمت سيف الدولة " ربما سيقيض له أن ينافس في اسلوبه وبنائه الأدبى السيرة الذاتية التي كتبها عميد الأدب العربي " طه حسين " تحت عنوان " الأيام ". وان كانت " مذكرات قرية " تمتاز عن " الأيام " في أنها لا تمجد عبقرية شخص واحد فرد موهوب هو " طه حسين " بل تمجد عبقرية شعب شجاع هو الشعب المصرى وتخلد نضالاته في مواجهة الطغيان : طغيان الطبيعة وطغيان البشر ...

" الطريق إلى دولة أريحا "

المستقبل في الحل القومي

د. عصمت سيف الدولة

عرض/ ياسر أبو شعيرة

لقد راهن د، عصمت سيف الدولة على مدى ثلاثين عاما أن الثورة التي انطلقت عام ١٩٦٥ لتحرير فلسطين ستكون فصيلا متقدما من فصائل تحرير الأمة العربية وتوحدها وأنها ستجد نفسها بحكم ذات الأهداف التي ترفعها في ساحة الصراع القومي ضد عدوان متشعب الأدوات والإمكانات وعلى مدى السنوات الثلاثين المنصرمة كان د. عصمت سيف الدولة يدق ناقوس الخطر عند كل منعطف أو تحول أو انحراف وكان موقفه القومي الثابت : أن الثورة الفلسطينية لن تخرج من ساحة الصراع بين الأمة والأعداء إلا إذا تخلت عن الأهداف والثوابت والمبادئ والغايات التي انطلقت منها، أي أن تتحول من ثورة حتى النصر إلى مستعمرة أو مستوطنة لسكان شرق أوسطيين.

لقد كان الموقف الفصل في ذلك كله هو الاختبار الصعب الذي كان على الثورة الفلسطينية أن تبت فيه لحظة انطلاقها بين الموقف القومي لتحرير فلسطين وبين الموقف الإقليمي للتفريط بفلسطين ولقد حملت الثورة الفلسطينية الموقفين داخلها لحظة ولادتها وإلى مرحلة ما، ثم بدأ الموقف

القومي عموما يتراجع لصالح الإقليمية فمن صرخة الولادة المطالبة بتحرير فلسطين وإعادتها أرضا وشعبا إلى الأمة العربية إلى المناداة بإقامة دولة فلسطين الديموقراطية العلمانية على تراب فلسطين. إلى إقامة دولة فلسطين على جزء من فلسطين يمكن تحريره إلى إقامة دولة فلسطين على جزء من فلسطين تتخلى عنه إسرائيل بالتفاوض ثم التراجع الأخير إلى إقامة سلطة الحكم الذاتي.

استمر د. عصمت سيف الدولة وعلى مدى الثلاثين عاما الأخيرة يحاور وينبه ويحذر فكان هذا الكتاب :" الطريق إلى دولة أريحا " الصادر عن دار الأنصار بدمشق والذي يعد بمثابة الوثيقة ولكنها ليست للتاريخ وحسب وإنما هي قبل ذلك للمستقبل، إذا كان في مقدورنا أن نحول ما وقع في مقدورنا دائما أن نحول دون أن يمتد هذا الواقع المستقبل، إن المستقبل هو ساحة نضالنا ونحن قادرون دائما على أن نغير الظروف على الوجه الذي نريد فيأتي المستقبل كما نشاء، يجب أن نحقق في المستقبل نقيض الواقع وإذا كان الواقع هو الوجود الإسرائيلى فإن المستقبل هو أن نزيل :" إسرائيل وتكون مهمتنا الرئيسية أن نغير الظروف العربية وأن نحقق المستقبل الذي نريده فمن الذي يغير الظروف ويحقق المستقبل ؟ إنه الإنسان إن هذا يحدد مهمتنا الأولى إنقاذ الإنسان العربي كخطوة حتمية أولى لإمكان إنقاذ المستقبل العربي ".

الحل القومي

منذ أكثر من نصف قرن تقوم في فلسطين محاولة لانتزاع الأرض من البشر بدأت اختلاسا خفيا ثم تحولت إلى اغتصاب بالقوة وهي ليس احتلال لفلسطين أرضا وشعبا تسخر به القوة المحتلة كل من الأرض والبشر لخدمة التقدم في بلده البعيدة كما كانت تفعل إنجلترا قبل سنة ١٩٤٨ ولكنها محاولة قامت قبل الاحتلال الإنجليزي واستمرت في ظله ولا تزال باقية بعده فيها تحاول الحركة الصهيونية الاستيلاء علي الأرض خالية من الشعب العربي

وتوطين بشر آخرين فيها وهي محاولة قريبة الشبه بما فعله المهاجرون الأوربيون القدماء في أمريكا واستراليا. وسنة ١٩٤٨ استطاعت الحركة الصهيونية أن تقيم على أرض فلسطين دولة باسم إسرائيل اعترفت بها غالبية دول العالم وقبلت عضوا في هيئة الأمم المتحدة ورفضت الدول العربية الاعتراف بها واشتبكت معها في ثلاث جولات عسكرية خلال عشرين عاما وقد عاصرت تلك المشكلة ثلاث أجيال عربية تعددت عليها الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة وتغيرت من حولها الظروف الدولية، فطرحت للمشكلة عشرات التفسيرات وقدم لها كثير من الحلول في كل جيل وتحت كل نظام وظرف، وكتب عنها مئات الكتب فلم تزد المشكلة على أول الأسئلة التي تطرحها أو تجهلها : ما هي حقيقة المشكلة وما هو الحل الصحيح؟..

يتصدى الدكتور عصمت سيف الدولة للإجابة على هذا التساؤل العميق الواسع بكلمة واحدة " القومية " ولكنه قبل أن يطرح الحل القومي لمشكلة فلسطين، فإنه يقدم دراسة موضوعية وافية لكل أبعاد المشكلة الحقيقية، ويغوص عميقا في جذورها على مستوى الأمة العربية، منطلقا من فكرة تبدو جريئة على لسان أبرز المفكرين العرب وهي أن القومية العربية لم تنشأ عند قيام الثورة العربية الكبرى ولا مع ظهور الحركات التقدمية المطالبة بالوحدة العربية ولكن القومية العربية عرفت التطبيق الأول والصحيح لها على أرض الواقع في زمن الدولة الإسلامية والفتوح.

فعندما ننظر إلى المجتمعات خلال تطورها الجدلي وحركتها التي لا تتوقف من الماضي إلى المستقبل ننظر إلى فلسطين أرضا وشعبا قد دخلت طورا جديدا بالفتح الإسلامي ولم تعد منذ ذلك الحين موقعا للصراع القبلي بين الكنعانيين والإسرائيليين والرومان، بل استقر الأمر فيها لتتخطى مرحلة البداوة القبلية حيث لا تخص الأرض شعبا بعينه لتكون جزء مؤثرا أو متأثرا ومتغيرا ومتطور مع بقية الجماعات والشعوب التي وفر لها الفتح الإسلامي أوسع فرص التفاعل التاريخي لتكون معا أمة عربية وإذا كانت العلاقات العربية بين المقيمين في فلسطين والمقيمين في بقية أنحاء الوطن العربي قد سهلت عملية التفاعل تلك فإن المهم ما أدى إليه التفاعل من تطور تقدمي

انصهرت فيه الجماعات والشعوب السابقة على التكوين القومي وأصبحت بها أمة واحدة.

وبالتالي أن محاولة طرد الشعب العربي واغتصاب الأرض العربية لتوطين بشر " مستوردين " هو اعتداء على الوجود القومي للأمة العربية قبل كل شيء " إن حق الشعب العربي في استكمال وجود أمته باسترداد فلسطين لا يتوقف على إذا كان المعتدون يهود أو غير يهود، رأسماليون أو من الذين لا يملكون شيئا يخسرونه كما لا يتوقف على أي وجه وفي أي ظرف على موقف الدول من هذا الحق سواء كانت دول كبرى أو دول صغرى مجتمعة أو منفردة في منظمة هيئة الأمم المتحدة.

إن كل هذا الذي يتصل بالمعتدين وحلفائهم والموقف الدولي من المشكلة قد يؤثر بشكل أو بآخر على أسلوب حلها، أما حقيقتها القومية كما هي محددة بالوجود القومي العربي فلا تتأثر ولا تتغير لموقف القوى الأخرى معتدية كانت أو حليفة.

إذن فاسترداد الأرض العربية للشعب العربي هو الحل القومي لمشكلة فلسطين كما يطرحها المؤلف ولا يعنى جزء من تلك الأرض ولكن كلها، وليس كما حاول دعاة إقامة فلسطين الديموقراطية في الماضي وكما يحاول دعاة السلام اليوم تبرير ضرورة تقاسم الأرض بين العرب واليهود بوجود أجيال من اليهود لم تعرف لها وطننا إلا فلسطين. فالقومية لا تقبل الاستقلال الإقليمي لفلسطين عن الأمة العربية وفلسطين الإقليمية فاشلة من الآن في مشكلة الإقامة فيها في دويلة يوجد فيها مليونا من المجني عليهم ومليونا من الجناة حول جسم الجريمة : الدار المهجورة وقد سكنت، و الأرض المغتصبة وقد زرعت، والأموال المنهوبة وقد أصبحت أموالا للآخرين.. القومية لا تقبل إلا دولة الوحدة ودولة الوحدة أكثر رحابة من فلسطين، وفيها مكان لكل الذين يريدون أن يعيشوا آمنين.

أرض الوطن بين الحرب والسلام

تصدق الدعوة إلى السلام على أساس أن السلام وحده هو الشرط الذي لابد منه للتقدم البشرى والاقتصادي والاجتماعي والثقافي حيث يتفرغ فيه كل أبناء المجتمع لأداء وظيفتهم الإنسانية الأصيلة " الصـــراع ضـــد ظـــروفهم المادية لتوظيف مواردهم المتاحة من أجل مزيد من إشباع حاجتهم الماديـــة والثقافية المتجددة أبدا بمعنى تطوير مجتمعهم إلى مجتمع الرخاء والحريـــة وفي ظل ذلك تتاح الظروف الموضوعية للإبداع الإنساني والتقدم غيـــر أن استمرار ذلك كله مرهون بأن تظل الموارد المادية المتاحة في كل مجتمـــع متاحة له بدون انتقاص، لذا فعندما يبدأ العدوان لابد أن يبدأ القتال دفعـــا لـــه ودفاعا عن أرض الوطن بكل مقياس ذاتي أو موضوعي سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي إذا تعرضت أرض الوطن لاعتداء يسقط موضوعيا الحديث عن السلام في ظل العدوان أو الدعوة إليه " في ظروف تاريخيـــة محـــددة بـــأن أرض الوطن مسلوبة تصبح الدعوة إلى الحرب التي هي دعوة إلى القتل هي الدعوة الوحيدة للسلام وتصبح الحرب هـــي الممارســـة الوحيـــدة الصـــادقة للسلام.. وفي حروب التحرر الوطني لا يعتبر كل استرداد جزء مـــن أرض الوطن انتصارا أو بطولة إنما يتحدد الموقف من أرض الوطن تبعا وطبقـــا لمتطلبات تدمير وتصفية قوى العدوان ".

كل هذا ينطبق على الصراع العربي ضد الاحتلال الصهيوني ويضبط المواقف الصحيحة من مسألة الحرب والسلام، فالصهيونية قد اعتدت علـــى الأرض العربية واحتلت فلسطين وتجاوزتها إلى مزيد من الأرض العربيـــة، والصهيونية منظمة عالمية يقع مركز قيادتها والمجالات الرئيسية لنشـــاطها خارج الوطن العربي ويتسع نشاطها ليتغلغل في كل أنشـــطته علـــى وجـــه الأرض سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، وبالتالي فإسرائيل الدولة ليست إلا أداة الصدام المتقدمة بين الصهيونية والشعب العربـــي ولأنهـــا أداة الصدام والتجسيد الحي للاحتلال الصهيوني للأرض العربية فـــأن المقاومـــة العربية قد اتجهت إلينا منذ البداية ولا تزال تركز نضالها التحرري ضد هذا الكيان الذي يجسد الاعتداء، وهذا حال دون أن تمارس القوى العربية دفاعها

ضد مراكز تجميع وحشد وتعبئة القوى المعادية، أي ضد الصهيونية، حيث يكون للصهيونية نشاط، هذا في حين أنه حتى لو استطاعت القوى العربية أن تنتزع دولة إسرائيل من الأرض فإن هذا لن يكون نهاية الصراع.

على أساس هذه الرؤية الضيقة للصراع العربي الصهيوني مداه وقواه، يجرى الترويج لعملية التسوية السياسية تحت شعار "السلام بدلا من الحرب" الذي تطلقه الدول الغربية الكبرى صاحبة المصلحة الأولى في مشاريع السلام الاقتصادية.

ففي فلسطين تجرى المساومة على أرض الوطن، فيقدمون بعض الأرض ثمنا لبعض الأرض وفي غير أرض فلسطين ثمن السلام أرض منزوعة السلاح، أي مجرد موضوع الملكية فارغة وليست مصدرا للحياة والتقدم والإبداع، الأمر الذي يفرغ السلام من مضمونه الحقيقي ويجعله مجرد أداة للمساومة.

بالرغم من ذلك فالمؤلف يؤمن بأن الحل القومي سيصنع مستقبلا أفضل رغما عن كل الظروف، ويحاول أن يجد في انهيار الاتحاد السوفيتي شاهدا على كلامه ومبررا لانتصار الحل القومي في النهاية. غدا أو بعد غدا سيعرف الشعب العربي أن الواقع الذي كرهه هو الناتج الطبيعي لتجزئة أمته، حينئذ ستصبح الوحدة العربية هدفا شعبيا ملحا.. ولقد بدأت ثورة القوميات منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، قوميات عديدة كانت تحت السيطرة الروسية وما إن تحررت من القهر الروسي حتى استقلت بأوطانها القومية بعد قرن ونصف من إخضاعها وإدماجها في دولة موحدة.

شيخ العروبة ... مترافعا

بقلم / أحمد الجمال

على طول المسافة الممتدة من البوابـة الرئيسـية لأرض المعـارض المطلة على شارع صلاح سالم بالقاهرة إلى القاعة الكبرى التي تنعقد فيهـا محاكمات رجال تنظيم ثورة مصر أصطف جنود الأمن.. ظهرهم للطريـق، وجههم إلى جانبيه وجوههم هي وجوه أقربائنا من الفلاحين والصعايدة فيهـا البساطة والطيبة وأعوادهم مشدودة كأنها أوتار قدت مـن أشـجار السـنط. تمضى من ورائهم فتحس مدى توترهم وهذا هو حال الواقف لساعات طويلة لا يدرى من يمر خلفه فربما كان وقع الأقدام لضابط غليظ القلب لا يتـردد عن سب الآباء والأجداد إذا ما ظن أن ركبة أحدهم قد تراخت وربما كـان وقع الأقدام لمهاجم يريد انتزاع الرشاش الذي يحملونه خاصة وأنهـم طيلـة فترات تدريبهم يلقنون أن مهامهم في قمع المظاهرات أو حراسة الجلسـات مهام ضد مارقين أشرار يريدون إحراق البلاد والعباد..

رتب من جميع الأوزان وأكتاف تحمل ابتداء من نجمـة واحـدة إلـى المقص أي السيف والعصا المتقاطعين ومعهما النسر أي من المـلازم إلـى اللواء ورتب أخرى غير معروفة الدرجة لأنها تلبس اللباس المدني فربما هم مخابرات أو أمن قومي أو مباحث أمن دولة والجميع منتشرون مـن حـول القاعة وفي مدخلها وفي أرجائها. دخلت القاعة أول أمس ومن بعيد لوحـت ككل الملوحين لرجال القضية والمحامون من كل وزن متواجدون من محـام

تحت التمرين جاء ينوب عن المحامى الأصلي إلى أساطين فقه القانون وأساتذة الجنائي وقمم المرافعات وتيارات السياسة والفكر في مصر كلها ممثلة فيهم حيث القضية كانت مدارا للالتقاء الجبهوي عدا حزب الوفد الذي انسحب ممثلوه من مهمة الدفاع عن رجالها.

الثرثرة والتعليقات ونوع من الضجيج الهادئ إلى أن يدخل (الحاجب) ويصيح محكمة فلا تجد نفسك إلا واقفا بصورة آلية تلقى ما بيدك وتطفئ سيجارتك وتحتبس الأنفاس وقبل أن يعلوا صوت سحب الكراسي للجلوس يقطع الصمت صوت العصافير التي سكنت القاعة غير مبالية وبغير تصريح من الجهات المختصة ويفجر الصمت صوت محمود نور الدين الله أكبر الله أكبر الله أكبر تحيا مصر حرة عربية إسلامية تسقط " إسرائيل " وتسقط أمريكا.

وكما هي المتعة العقلية " المجهدة " في أن تقرأ لشيخ العروبة عصمت سيف الدولة مقالاته عن العروبة وعن الإسلام وعن الاشتراكية العربية وعن الوحدة فإنها ذات المتعة وربما أكثر بمرات عندما تستمع إليه مترافعا.

وقف الشيخ العربي سيف الدولة بقامته المديدة وبنيته الصلبة وشعره الأبيض وانطلق..

كان بالأمس الأول رائعا بالمعنى الدارج والمعنى اللغوى أيضا أي عظيما مبهجا ومخيفا بغير حدود وتنظر من حواليك فإذا برجال التنظيم من وراء الأسلاك واقفين في إصغاء غير هامس وإذا ببقية الحضور من محامين وصحفيين وأهالى يدققون السمع وراء حروفه حتى إذا حاد بفمه عن مكبر الصوت علا الهمس الصوت يا دكتور.

وعلى المنصة بشقيها : القضاء والنيابة في انتظار اللقطة التي سيكشف المترافع عنها والنيابة خاصة تسجل وتترقب حجم الثغرات التي سينوه إليها الدكتور عصمت في عملها.

أمسك الدكتور عصمت بتلابيب أوراق القضية وبالنيابـة وبالحكومـة وبالحكم حيث كان يناقش أهمية أن يستدعى شهود جدد طلبهم الدفاع للمثول أمام المحكمة وكلهم شهود لهم صلة بما جـرى داخـل سـفارة الأمريكـان بالقاهرة بعد أن إعترف المتهم الثالث أنه إتصل بها وزارها وحقق معه فيها قبل أن تعلم السلطة المصرية بفترة طويلة.

وإذا كان رجال ثورة مصر أشفوا غليل الكثيرين بما قاموا بـه ضـد الموساد ومن وراءها فإن ما يجرى في قاعة المحاكمـة أمـر تسـرى لـه القشعريرة في كل جسد حى إبتداء من هتافات نور الـدين ولـيس إنتهـاء بمرافعات عصمت.



عـــــــــام ١٩٧٢

حين اعتقله السادات بدعوى التخطيط لقلب كافة الأنظمة العربية



الدكتور/ عصمت سيف الدولة كمحامي للحريات في مصر

• في مرافعته عن المتهمين في انتفاضة١٩/١٨ يناير١٩٧٧ والتي نشرت تحت عنوان «دفاع عن الشعب» قدم للمحكمة تسجيلات بصوت شهود الإثبات بعد إعـادة تركيبهـا بحيث تبدو الشهادة وكأنها نفي. وكذلك قدم صور فوتوغرافية مركبة لهيئة المحكمين وقد استبدل فيها صورة المستشار رئيس الجلسة بصورته الشخصية واسـقط بـذلك استخدام الأدلة الصوتية والفوتوغرافية كأدلة اتهام وتم الإفراج عن المتهمين وعددهم ١٧٦. ومنذ ذلك الحين لم يعد القضاء المصري يعتد بالتسجيلات الصـوتية والصـور الفوتوغرافية كأدلة إثبات.

الغـــــــريب

بقلم / عبد الحليم قنديل

هل تتصور أمة استجمعت كبرياءها وأحزانهـا وأسـرار عبقريتهـا وأودعتها عقلارجلاً ؟ أنا شخصيا قابلت هذه الأمـة تمشـى علـى قـدمين وصافحتها يدا بيد وطالعت أسماءها الحسنى في محيا رجل اسـمه الـدكتور عصمت سيف الدولة.

وربما لذلك تلقيت نبأ رحيله القاسى وكأنه نبأ رحيل الأمة بأسرها.

ولا تتصور ـ عزيزي القارئ ـ أن أي كلمات ـ مهمـا تجملـت أو طالت ـ يمكن لها أن تضئ ملحمة الراحل الجليل.

قومي عربي حتى النخاع، ووطني مصري حتى أخمص القدمين عفي كأشجار السنديان، ووديع كبراءة الأطفال وصارم التقاطيع كالجبال الرواسي، وصامت كحزن فلسطين وفياض كأعلى نهر النيل.

قبل رحيله بشهور كنت في زيارة للدكتور عصمت، وروى لي قصة ـ أغرب من الخيال قال الجليل : أن أستاذ فلسفة معروف أهـداه عـددا مـن المؤلفات والأغرب أنه كتب في الإهداء أنه اطلع لأول مرة علـى مؤلفـات الدكتور عصمت من نظرية الثورة العربية إلى السفر العظيم " عن العروبـة والإسلام " قالها الجليل وهو يدارى ألمه بابتسامة بدت لي سـاخرة. وقبـل سنوات كتب المثقف القبطي ميلاد حنا : أنه عرف الدكتور كمحـام لامـع،

وأضاف حنا : ولكني لم أعرف تأثيره الطاغي على المثقفين العرب إلا حين حضرت ندوة فكرية عقدت في قبرص. والقصص من هـذا النـوع كثيـرة وجارحة، لكنها للأسف عكست نوعا من المؤامرة ـ بالتجاهل ـ ضد مفكر نادر المثال هو "فيلسوف القومية العربية " بامتياز ولا تحتاج إلى ذكاء كبير لتعرف السبب فقد كان الرجل الجليل في موقف الضد دائما خاصم كل سلطة وفضح كل زيف، وغالب كل ريح بذاته المتألقة وحدها، واعتصم بالثقة فـي يوم يأتي وأجيال تنهض.. وتبحث عن خلاصها باليقين.

هذا هو الغريب في بلده الغريب الذي علمنا سر التكوين حجبوا صورته فسكنت قلوبنا وحجبوا صوته فاستقر في العقول وأقاموا بيننـا وبينـه ألـف حاجز وكان قدرنا أن نعبر وكان قدرنا أن نستظل وكان قدرنا أن نفهم ونأمل وكان قدرناأن نعتز بأننا ولدنا عربا وكيف لا ونحن ننتمي لأمة أنجبت رجلا حول الكلمة إلى قنبلة ذرية.

عصمت سيف الدولة ..

مناضل يرحل في يوم الأرض

بقلم / عبد الغفار شكر

لو كان الأمر بيده لعاش ألف عام يقاتل من أجل الوحدة العربية وحق شعوب الأمة العربية في الحرية والديموقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية ولكنها مشيئة الله التي قدرت أن يكون لكل أجل كتاب استمر فارس العرب عصمت سيف الدولة شاهرا سيفه حتى اللحظة الأخيرة من عمره يواجه به أعداء الأمة العربية فكان مثالا للقدرة على المقاومة بالرغم من كل الظروف المعاكسة المحيطة به وبالرغم من متاعبه الصحية.

شغل الدكتور عصمت سيف الدولة الكثير من المفكرين والمناضلين العرب عندما أصدر كتابه " الاشتراكية العربية " في منتصف الستينات وطرح فيه نظريته عن " جدل الإنسان " ودار حوار خصب وخلاق كان هو أحد أطرافه الأساسية حول الخصوصية والعمومية في النظام الاشتراكي الذي نسعى لأقامته في الوطن العربي ساعد هذا الحوار الكثيرين على التعمق في دراسة الاشتراكية وعلى بلورة مواقفهم من مستقبل الاشتراكية في مصر والوطن العربي فكان حوارا خصبا خلاقا مثمرا ليس كحوارات اليوم التي هي أشبه بحوار الطرشان لا يسمع أحد فيها غيره ولا تزيد عن كونها مونولجا داخليا يواصل كل طرف فيه إرسال أفكاره دون أن يهتم بالاستماع

إلى الآخرين عندما فاجأتنا هزيمة يونيو ١٩٦٧ والحركة القومية في عنفوانها لم تفقده الهزيمة اتزانه بل أدرك وهو المنظر والمفكر أن الرد عليها يجب أن يكون عمليا وأن تجاوزها يتطلب تعبئة الأجيال الجديدة من أجل نضال طويل المدى فهو أفضل من يعرف طبيعة المعركة التي تخوضها الأمة العربية وطبيعة الإمبريالية والصهيونية باعتبارها تجليات استغلالية وعنصرية سوف تستمر طويلا، لم يكن فارق السن بينه وبينهم حائلا دون التفاهم العميق ولم تكن غلبة الاهتمام الفكري والنظري لديه عقبة أمام إعطاء النضال العلمي أولوية في هذه المرحلة وعندما قدم للمحاكمة واجه بشجاعة الاتهامات الموجهة إليه وواجه بشجاعة الحكم القاسي الصادر ضده.

لم يتردد عصمت سيف الدولة في أي مرحلة من حياته في خوض المعارك حول القضايا المطروحة في هذه المرحلة، فكان السباق دائما إلى امتشاق السيف ومبارزة الأعداء فعل ذلك باستمرار في مواجهة الإمبريالية والصهيونية والكيان الاستعماري الاستيطاني لإسرائيل وفعل ذلك في مواجهة التحالف الرجعى العربي وفي مواجهة انقلاب مايو ١٩٧١ في مصر.

شهدت السبعينيات احتدام المواجهة بين معسكري الثورة والثورة المضادة في مصر وعلى امتداد الوطن العربي وكان عصمت سيف الدولة أحد القادة البارزين لمعسكر الثورة العربية فكرا ونضالا تصدى لفضح إتفاقيات كامب ديفيد إدانة الصلح المنفرد بين الحكومة المصرية وإسرائيل وناصر الثورة الفلسطينية وحقها في الكفاح المسلح واحتل موقعه في مقدمة الصفوف في معارك هذه الفترة وكرس نفسه لخدمة قضايا الأمة العربية في هذه الفترة والدفاع عن المناضلين وسجناء الرأي الذين لفقت لهم عشرات القضايا واستحق عن جدارة لقب محامى الشعب وكان دفاعه في قضية التنظيمات السياسية الكبرى في انتفاضة ١٨و١٩ يناير ١٩٧٧ علامة فارقة في تاريخ القضاء المصري حيث نجح في إسقاط حجية التسجيلات الصوتية والصور المقدمة من أجهزة الأمن كأدلة ضد المتهمين عندما قدم للمحكمة تسجيلا صوتيا لرئيس المحكمة نفسه يتبنى فيه رأي المتهمين وقدم صورا

يبدو فيها الدكتور عصمت سيف الدولة كرئيس للمحكمة بينما رئيس المحكمة الحقيقي يبدو في وضع عضو اليمين أو عضـو اليسـار وأثبـت بـذلك أن التكنولوجيا الحديثة تمكن من تزييف أشرطة التسجيل والصور الفوتوغرافية وكانت النتيجة أن قررت المحكمة إهدار الأدلة وحكمت ببـراءة المتهمـين، تعاون عصمت سيف الدولة مع هيئة الدفاع في تقديم دفع متكامل كان إهدار الأدلة أحد أهم جوانبه ومنذ ذلك التاريخ لم يعد القضاء المصري يستند إلـى مثل هذه الأدلة.

واصل الدكتور عصمت سيف الدولة نضاله القومي الديمقراطي التقدمي حتى آخر لحظة في حياته بالرغم مما كان يشهده من انهيارات في الجبهـة العربية وتحول العرب إلى معارك جانبية لكنه لم يفقد إيمانـه لحظـة بـأن انتصار الحركة القومية آت مهما طال الزمن.

إنها لمفارقة كبرى أن يرحل المفكر المناضل الفارس عصمت سـيف الدولة عن عالمنا في يوم الأرض يوم ٣٠ مارس فتوحد بذلك مع رمز عظيم للنضال العربي وعندا يحل يوم ٣٠ مارس من كل عام فإننا سنحتفل بيـوم الأرض وبرائد كرس حياته للدفاع عن الأرض العربية والأرض الفلسطينية وسيبقى خالدا في ضمير أمته بفضل زملائـه وتلاميـذه الـذين يواصـلون مسيرته.

الراحلون إلينا

بقلم / طارق البشري

ويأتي آخر الراحلين في شهر آزار الصديق الحبيب د. عصمت سـيف الدولة عرفته طبعا وقرأت له وتابعته منذ ١٩٥٨ وهي مدة فيها فراغات في نحو العشر سنين الأولى ورغم القراءة والمتابعة لم أضع يدي على مفتـاح شخصيته الإنسانية والفكرية بما يحدد ملمحه العام في خط أو خطين لم يتهيأ لي ذلك إلا في رحلة إلى ليماسول بقبرص في خريف ١٩٨٣ لحضور ندوة عن الديموقراطية في الوطن العربي كان أكبر المصـريين فيهـا المرحـوم الأستاذ فتحي رضوان وفينا عصمت سيف الدولـة ووجـدت بينهمـا فـي التخاطب والتعامل خيطا سريا أو شريانا دفينا وتناغما حميما جدا فوجـدت المفتاح.

عصمت نشأ في الحزب الوطني في الأربعينيات مع فتحـي رضـوان وهو حزب تمتد جذوره إلى بداية القرن العشرين مع مصطفي كامل ومحمد فريد جاء عصمت من هذا القبيل من صعيد مصر ومـن حزبهـا الـوطني وشجرة الحزب الوطني لها امتداد عجيب في تياراتنا السياسية هذا الحزب بدأ منذ العشرينات ضامرا قليل الرجال يحتوى الشباب صار كالشجرة لا تنمـو فروعا وأغصانا ولا تنمو كجذع واحد ولكنها من هذا النوع من الشجر الذي تتدلى فروعه إلى الأرض فتصير جذوعا لشجر جديد ومن هذا الحقل ظهـر الأخوان المسلمون ومصر الفتاة والحزب الوطني الجديد والغالب من الضباط الأحرار، الأساس هنا دائما هو استقلال الجماعة الوطنية مصرية كانـت أو

عربية أو إسلامية وهو الاستقلال سياسيا واجتماعيا وثقافيا (عقيديا وحضاريا).

كل ذلك أو بعضه ثم يرد بعد ذلك الوضع الداخلي نظام حكم وتوزيع دخل وأوضاع أفراد، الأولوية لأخطار الخارج على حقوق الأفراد استقلالا وتحريرا عصمت هو من هذه الشجرة ذات الفروع الجذوع وهذا هو عصمت الاشتراكي الذي وجدته في ليماسول ننزل سهلا مطمئنا في رحاب فتحي رضوان صاحب الوطنية التقليدية ينزل منه وكأنه في بيته.

شرق عصمت وغرب في ثقافته وهو نهم طلعة يأكل الأفكار أكلا ولكنه ذو معدة فكرية متينة تهضم وتتمثل وهو مهما غرب بقى شرقيا ومهما أخذ من فكر أهل الشمال ظل جنوبيا واشتراكيته لم تنقله قط إلى الشمال ولا إلى الغرب ولو بلمسة أصبح ولا بخطرة فكر ولا بلعقه لسان وصعد بالثقافة إلى مجال الفلسفة وقال بالجدل كشأن هيجل وماركس ولكنه أسماه جدل الإنسان وبجل الإنسان ينفتح الطريق إلى عالم الغيب تكلم عن نظم الحكم والديموقراطية ولكن ظل "الوطن " هو الحاضر لأي نظام. وكتب عن الإسلام والعروبة تشعب بنا الحديث يوما عن الدين وبدأت أتكلم فصرفني برفق صادق الود وقال أخي عندما يرد الحديث عن الدين فأنت تكلم مسلما يعرف معنى هذه الكلمة فكرا وثقافة وموقفا فقلت عفوا أنني كنت أستطرد في الحديث.

وداعاً للفارس الجليل

عصمت سيف الدولة فيلسوف القومية العربية

بقلم دكتور/ محمد عبد الشفيع عيسى

فقد الفكر القومي العربي فارسا لايشق له غبار وفقدت معه الحركة القومية العربية علما مبرزا من أعلامها النادرين وذلك هو الدكتور عصمت سيف الدولة والحقيقة أن عصمت سيف الدولة قد إحتل موقعه في الفكر والحركة بجهد مثابر دؤوب وخاصة في الفترة منذ منتصف الستينات حتى أواسط الثمانينات أي منذ إصدار " أسس الاشتراكية العربية " حتى كتابه " عن العروبة والإسلام " أي لمدة عقدين كاملين تقريبا.

ولكن ذروة نشاطه الجم تمثلت في الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٢ابتداء من "الأسس " مرورا بالكتيبات الثلاثة المنطلقة من الأسس وهي "الطرق " الطريق إلى الاشتراكية العربية، والطريق إلى الوحدة العربية والطريق إلى الديموقراطية وانتهاء بالسفر الجليل (نظرية الثورة العربية)، ونستطيع القول أن عصمت سيف الدولة كان غريبا في بلده إلى حد كبير فإن مصر الستينات التي شهدت ازدهار الناصرية العربية انطلاقا من قيادة عبد الناصر في القاهرة لم تشهد عملا فكريا أو أيديولوجيا حول القومية العربية يناظر ويواكب ويدفع النشاط الحركي الهائل، للقيادة الثورية على القمة.

ومع فورة الكتابات " الاحتفالية " حول القومية والاشتراكية العربية، جاء الكتاب الفذ " أسس الاشتراكية العربية " عام ١٩٦٤ يمثل انقطاعا عن

التقليد الجاري وقد فهمت البيروقراطية مغزى الإشارة وما تمثله من مخاطر على مواقعها فوقفت لعصمت سيف الدولة بالمرصاد ولكن الكتاب مع ذلك قد وصل فيما يبدو إلى الرئيس عبد الناصر ليمثل نوعا من اللقاء غير المباشر بين القائد المعاصر للحركة القومية العربية وللثورة العربية بمضمونها التحرري وبين مفكر طليعي في صدارة الكتيبة المقاتلة على مستوى الفكر.

وقد حلم عصمت سيف الدولة بعد ١٩٦٧ بميلاد الطليعة العربية، وكان له اجتهاده ودفع ثمن اجتهاده بعد وفاة الرئيس عبد الناصر وجاءت (نظرية الثورة العربية) عام ١٩٧٢ لتمثل خلاصة الإسهام الفكري لعصمت سيف الدولة فإذا به يقدم نظرية في القومية والأمة والتطور الاجتماعي تمثل استطرادا وتطويرا لفلسفته في جدل الإنسان كما طرحها تفصيلا في "الأسس" ولم يكن عصمت سيف الدولة في هذا كله ناصريا بالمعنى المتداول أي ملتزما بنموذج الممارسة السياسية التطبيقي لنظام عبد الناصر في الدائرتين الداخلية والعربية ولكنه كان " قوميا عربيا " باعتبار أن الالتزام القومي يمثل المعيار الحاكم لأي التزام سياسي عداه.

ويمكن لنا القول إن العمل الفكري من " الأسس" إلى " النظرية " يضع عصمت سيف الدولة علما على مرحلة بذاتها من الأيديولوجية السياسية للقومية العربية ولابد من الإشارة هنا إلى أن الأيدلوجية شهدت أربع مراحل في تطورها بشكل عام أولاها المرحلة السابقة للحرب العالمية الأولى، واللاحقة عليها مباشرة وقامت على أكتاف شباب الجمعيات العربية السرية المناهضة لحكم " جماعة الاتحاد و الترقي " التركية والساعية رويدا رويدا إلى الاستقلال بالوطن العربي القومي عن الدائرة السياسية العثمانية والمرحلة الثانية تمثلت في الأربعينات من خلال نشاط حزبي قاده (البعث) و"القوميون العرب" ونشاط فكرى خالص كان أكبر وأهم دعاته هو أبو خلدون (ساطع الحصري) والذي امتد جهده حتى أوائل الستينات.

وأما المرحلة الثالثة فقد جسدتها الزعامة الناصرية التي نهضت بمصر عربيا من خلال ثورة ٢٣ يوليو وحركت أوسع قاعدة جماهيرية عريضة على المستوى العربي مشرقا ومغربا من خلال تجديد ثوري في بنية الخطاب

الأيديولوجي وفي إيصاله إلى المعنيين به وفي نمط الاستجابة لردود أفعالهم وقد حفزت الحركة القومية في صورتها الجديدة (الناصرية) أعمال وقـرائح عدد من أبناء الفكرة العربية في عقد الستينات بصفة خاصة وبرز من بينهم اثنان عبد الله الريماوى وعصمت سيف الدولة وكان لكل منهما طريقه فـي بلورة أقسام من الفكر والأيدولوجيا القومية العربية منهجا ومذهبا.

ورغم تميز الريماوى بالنفس اللاهب من حرارة السياسة المـرة فـإن سيف الدولة قد تميز بصرامة المنطق الفلسفي دون منازع وكان له مع ذلـك رواد عديدون في المشرق العربي خاصة.

ومنذ أوائل السبعينات وإلى نهاية العقد انشغل عصمت سـيف الدولـة بإعطاء فكره القومي وجهده العملي من خلال الارتبـاط بفكـر وممارسـة الشباب الناصري الذي تربع على سدة الممارسة القومية العربية في مصـر خلال الحركة السياسية الوثابة في الجامعات وكان لفكره فـي تلـك الآونـة أصداء مصرية أوسع من ذي قبل ولكنه لم يكن معروفا على الصعيد العـام كمفكر قومي من الطراز الأول، ولكن كمحام من الطراز الأول في القضـايا السياسية والوطنية بالذات وجرت مياه عربية كثيرة في مطلع الثمانينات وقد انزوت " القومية العربية " إذ ذاك في مرحلتها الرابعة وحتى الآن لتتحصـن في حقل " الفكر " وخاصة الأكاديمي وفي الوقت نفسه جاء انشغال عصمت سيف الدولة بالربط بين فكرة العروبة ومنهج الإسلام فأصدر كتابه الموسوم (عن العروبة والإسلام) وبعد ذلك أراه اعتكف تقريبا لعقـد كامـل منـذ منتصف الثمانينات إلى منتصف التسعينات وحتى لقى وجه ربه في أول أيام هذا الشهر وإن كان قد انشغل بتأمل مسيرته في حياته ليكتب مذكراته بـدءا من طفولته الأولى في قريته البدارى.

رحمه الله رحمة واسعة على قدر ما بذل من جهد لم ينتظر عليه أجرا من أحد قط ولكنه نحت على صخور الجبال العربية اسمه المتألق في الأعالي بسطور من ضياء.

عصمت سيف الدولة ..

بقلم / محمد هيكل

عشق الوحدة العربية فأعطى الحلم كل حياته وآمن بالحرية فكان محاميا جسورا لم يتوقف عند حدود اليمين أو اليسار فكان المدافع الجسور عن آلام الشعب العربي في مصر في انتفاضة ١٩٧٧.

ولأنه كان من المؤمنين بقضية فلسطين باعتبارها مشروع الثورة العربية فقد دفع بحججه القوية في قضية ثورة مصر، ولأنه — من المؤمنين بتعدد منابر الرأي في مصر التعددية الحزبية — فقد نجح في العبور بالحزب الناصري من بوابة محكمة النقض.

رحل د. عصمت سيف الدولة الذي عشق القلم والريشة والنحت وهذا مالا يعرفه الكثيرون عنه ففضلا عن كونه محاميا ومفكرا قوميا كبيرا له إسهامات كبيرة في الفكر الوحدوي فهو كاتب سياسي وأديب وكاتب مسرحي وفنان تشكيلي ومثال فقد أفرز فنا تشكيليا عالي المستوى في سنوات السجن وأخرج — قبل موته — كتاب من جزأين هو "يوميات قرية" التي أرخ فيها للحركة الوطنية المصرية طوال قرن من الزمان فضلا عن عدد من الروايات والمسرحيات ذات الطابع الفكري والسياسي والفلسفي.

وبرحيله.. تفتقد الأمة العربية مفكرا كبيرا لم يتنازل يوما عن أفكاره الوحدوية أو عن مبادئه المثالية، أذكر أنه — وبرغم ضغوط كثيرة مورست عليه — لم يكتب لأنور السادات —... رسالة اعتذار ليخرج من السجن في السبعينات والمدهش أن الرجل قد طلب في وصيته ألا ينعيه أحد، ولا يقام له سرادق عزاء ورغم أننا نحن محبيه وأصدقاءه قد اجتمعنا في بيته فإننا لم نجد سوى أفكاره لنناقشها وأحلامه لنتمسك بها.

رحم الله عصمت سيف الدولة وألهمنا الثقة بالنفس والتماسك الذين كانا من سمات شخصيته المنفردة.

النخبة في تناقص مستمر!

بقلم / عبد الله اسحق

يبدو أن الموت مصر على الانتصار دائما في تنافسه المستمر مع الإنسان على اصطياد النخبة المتميزة وانتزاعها.

بل أن الموت يبدو أكثر " وعيا " وإدراكا لحقيقة من يختارهم إلى جانبه فهو لا يغتر بالنخبوية الاصطناعية ولا تغريه الشخوص المفتعلة مهما سلط عليها من أضواء كاشفة أو سخر لها من تزويق وتزييف على عكس الإنسان الذي لا يعتبر بمصير الفراشات وهي تنجذب نحو اللهب والاندثار.

وكلما كان الشخص الطليعي المتميز أكثر التصاقا بمجتمعه وأصدق ولاء والتزاما بقضاياه الوطنية والقومية كلما كان الموت أسرع إليه وأشد حرصا على إقتنائه.

وإلا لماذا تتناقص النخبة ويسارع المتميزون الحقيقيون في الرحيل واحدا بعد الآخر بينما نرى الفقاعات الهشة والتماثيل المصطنعة تزداد باطراد.

إن رحيل المفكر الكبير والقانوني المبرز د. عصمت سيف الدولة لا يعنى فحسب أن سماء الأمة العربية قد فقدت نجما من نجومها اللامعة وإن ثغرة جديدة قد انفتحت في أرض العروبة والإسلام.

بل أنه إلى ذلك نذير يدق ناقوس الخطر المحدق بأمة يرتفع علماؤها العاملون وتتناقص طليعة أعلامها المتميزين بينما البقية من نخبتها الحقيقية

غير المفتعلة والمزيفة منزوون باختيارهم أو مهملون مهمشون عن سابق إصرار وترصد !.

فالأمة أي أمة ليست بعدد أفرادها أو تعدد مواردها وثرواتها المادية إنما الأمم بعلمائها ومفكريها الفاعلين الذين يحترقون بذلا وعطاء لإنارة طريق المستقبل وتحصين هوية الأمة والدفاع عن مقوماتها وقيمها الأساسية.

لقد نذر د. عصمت سيف الدولة حياته وقلمه وكل جهده العلمي والمهني دفاعا عن المستضعفين والمظلومين من أبناء أمته وانحيازا واضحا وصريحا لقضاياها المصيرية.

لم ينحن أمام الطغيان والإرهاب الذي مورس ضده أو يستسلم للإغراءات الخادعة كما فعل آخرون دفنوا رؤوسهم في رمال الوهم واسترخصوا أنفسهم ومبادئهم فسلموها لأول بائع متجول يقابلهم أو تخلوا عنها عند أول إشارة حمراء.

دخل سيف الدولة السجن وتهمته " تأسيس وتنظيم الطليعة العربية " فلم يفت في عضده ولم يوهن عزيمته بل خرج من السجن وهو أشد تمسكا بعقيدته وأكثر حرصا على مبادئه وقضيته.

لم يزل المستقبل العربي هاجسه الأوحد وإنقاذ الإنسان العربي غايته الأولى على امتداد مسيرته العلمية ونضاله الفكري منذ ألف كتابه الأول "الطريق إلى الاشتراكية العربية " عام ١٩٦٤ وحتى آخر مؤلفاته "الطريق إلى دولة أريحا" مرورا بمؤلفه الفذ " العروبة والإسلام " الذي تصدى فيه بكل موضوعية واستبسال علمي ومنهجي للحملات الشرسة والمتلاحقة لفصل روح الإسلام عن جسد الأمة العربي.

ورغم تعدد الجبهات واحتدام المعركة وتسلط الأعداء الذين استسلم لهم البعض وركض نحوهم آخرون وأرتموا في أحضانهم إلى حد التهافت إلا أن سيف الدولة ظل مؤمنا بقدرة الإنسان العربي على المواجهة، موقنا بحتمية انتصاره المستقبلي " فمن الذي يغير الظروف ويحقق المستقبل ؟ إنه الإنسان".

لم ينخدع بادعاءات " الواقعية " المغلوطة ولم ينجـذب إلـى مفـاهيم العصر "الكاذبة بل كانت دعوته المستمرة ومبدؤه الثابت " أن المستقبل هـو ساحة نضالنا ونحن قادرون دائما على أن نغير الظروف على الوجه الـذي نريد فيأتي المستقبل كما نشاء " و " إذا كان في غير مقدورنا أن نحول دون ما وقع فإن في مقدورنا دائما أن نحول دون أن يمتـد هـذا الواقـع إلـى المستقبل".

وإذا كان السلام مطلبا ضروريا للتقدم البشرى فإنه حين تكـون أرض الوطن مسلوبة وحقوقه مغتصبة " تصبح الحرب هـي الممارسـة الوحيـدة الصادقة للسلام"

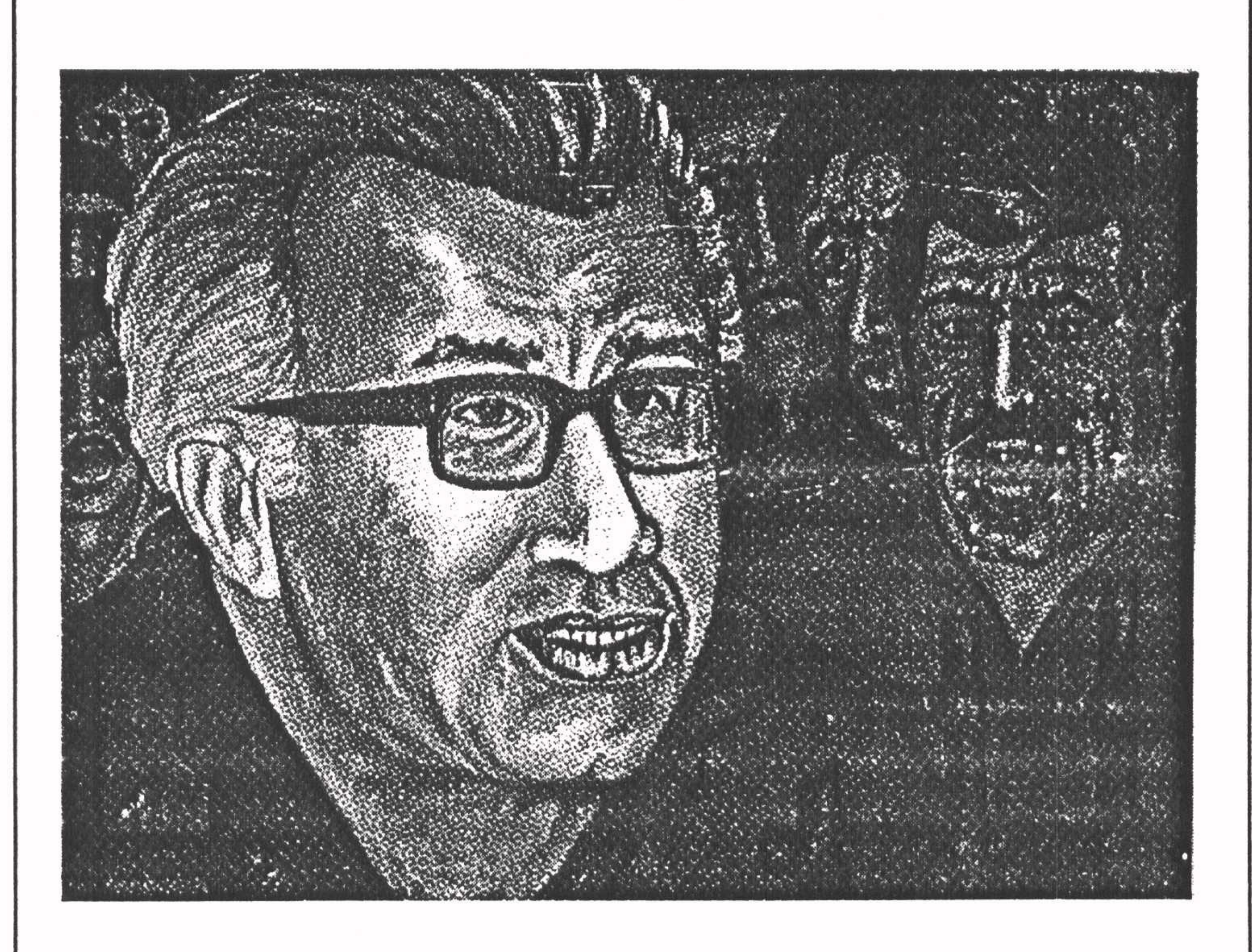
وفي حين يغض البعض نظره جهلا أو يتغاضى متجـاهلا صـيرورة المجتمعات المعاصرة حرصها المستميت على اسـتعادة هوايتهـا القوميـة وخصوصيتها الثقافية والحضارية يؤكد سيف الدولة أن " الحل القومي " هو السبيل الوحيد لحفظ هوية الأمة وصيانة كيانها ومكانتها بين الأمم.

وهو لا ينطلق في ذلك من أمنيات مجردة أو رؤية ذاتية بـل يبنـى موقفه ويؤسس رؤيته على فهم موضوعي للواقع المشهود وقـراءة تحليليـة متأنية لوقائع التاريخ واستقراء لقوانينه وسننه المؤكدة.

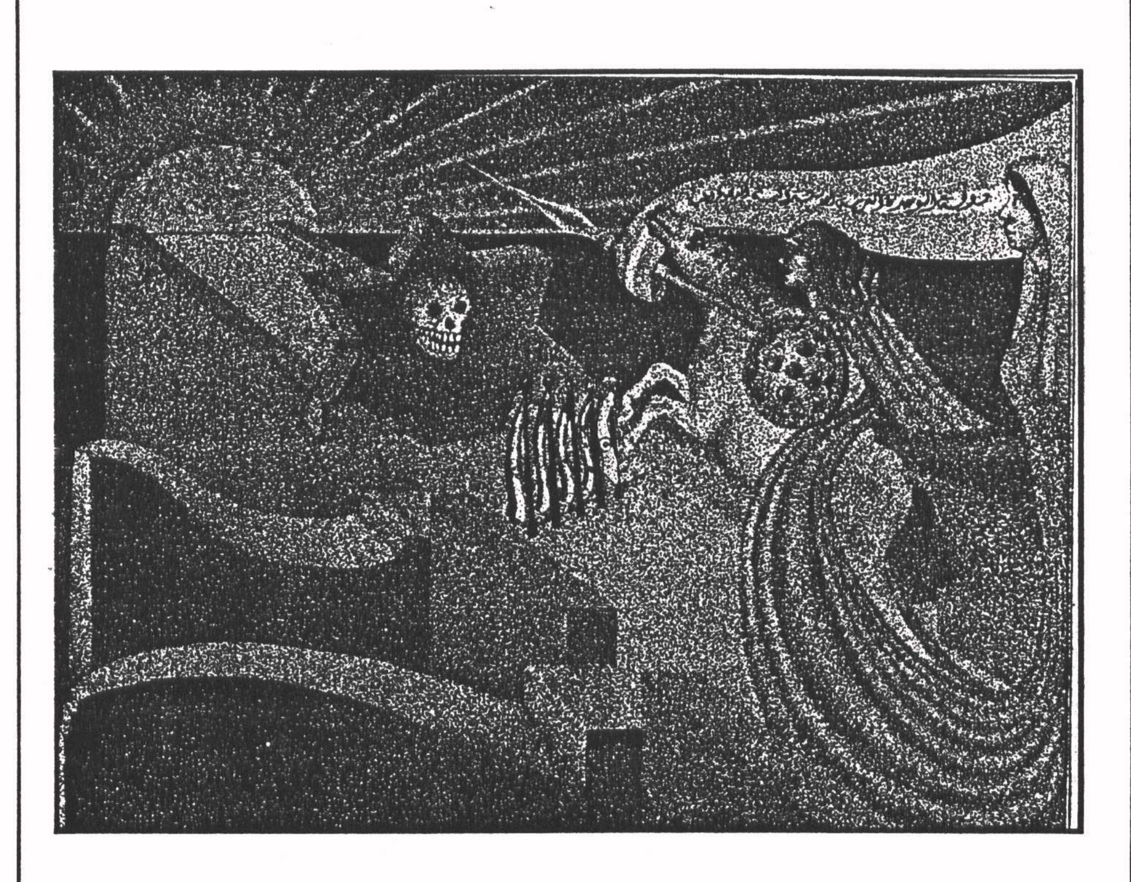
وما نراه حاليا ونعايشه يوميا على امتداد العالم كله من نمـو مطـرد وانتصارات متلاحقة للتيارات والتنظيمات ذات الطابع القـومي والأصـولي على اختلافها وتنوع مشاربها واتجاهاتها وما فيها من سلبيات وانحراف مـا هو إلا برهان واضح ودليل حي على أن المستقبل للكيانـات القوميـة وأن " الوحدة العربية " هي الخيار الوحيد لنا كعرب لضمان بقائنا وتقـدمنا نحـو مستقبل أفضل ومكانة نستحقها بين الأمم والشعوب الأخرى.

وإذا كان البعض يصر على الانغماس في الـوهم والـركض خلـف السراب فإن سيف الدولة مؤمن بأنه " غدا أو بعد غد سيعرف الشعب العربي أن الواقع الذي كرهه هو الناتج الطبيعي لتجزئة أمته حينئذ ستصبح الوحـدة العربية هدفا شعبيا ملحا ".

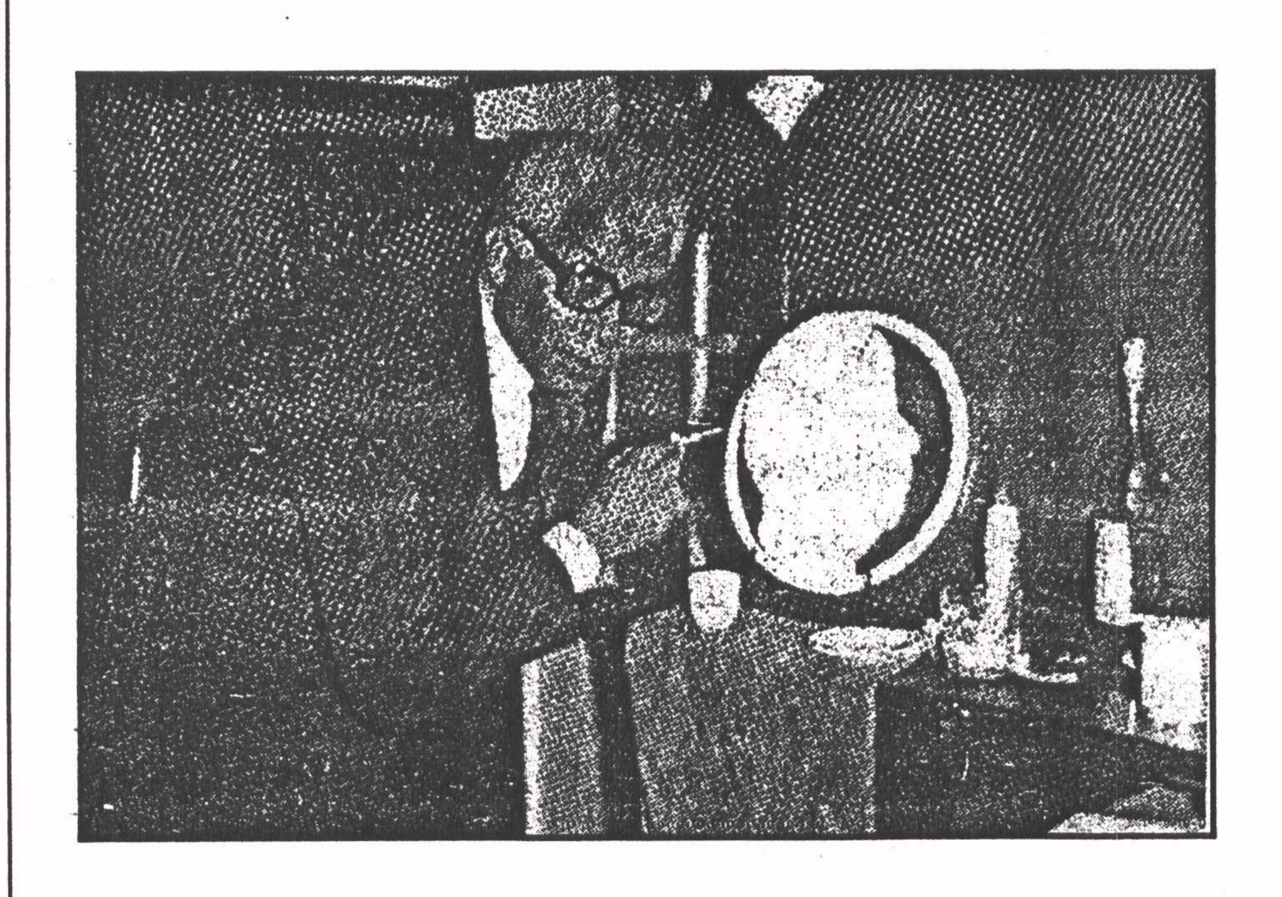
لقد فند عصمت سيف الدولة كل مبررات الانهزامية ورفض بإصرار وحزم "الدعوة للاعتراف المستحيل " مقدما النموذج العلمي والقدوة المثلى لمن تبقى من النخبة العربية ليستفيقوا من غفوتهم وينهضوا لأداء رسالتهم القومية والإنسانية قبل أن تستنزف كل مقومات الأمة ويفتك وباء العصر السياسي بآخر مناعة لديها وحتى لا يكون رحيل سيف الدولة الإنذار الأخير.



« خلف القضبان »　　　　بريشة: أحمد أراجة



« الطليعة العربية وطريقها الوحيد » بريشة: أحمد أراجة



د. عصمت سيف الدولة
الفنان



يناير ١٩٥١

كتيبة " محمد فريد " " معركة القناة " قرية العباسية ـ شرقية

إطلالة على فكر د. عصمت سيف الدولة

[جدل الإنسان] جزء محوري من صلب المنهجية الإسلامية

بقلم / طارق عبد الحميد

انطفأ فجأة وهج القلب النابض وأمسك القلم عن الكتابة، فقد رحل عنا الفارس بعد جهاد فكرى وسياسي طويل ظل خلاله رمزا لشموخ أمته وطموحاتها الوحدوية، مقاوما القهر والاستغلال والاستبداد، نعم.. رحل عنا فارس الفكر الذي ترك تراثا فكريا تتناقله الأجيال ليكون بحق واحدا من أهم المفكرين العرب في العقود الأخيرة.. هذا الفارس هو د. عصمت سيف الدولة.

في السطور القادمة نقدم إطلالة على فكر عصمت سيف الدولة من خلال مؤلفاته وآراءه.. كان أول كتبه عام ١٩٦٤، أسس الاشتراكية العربية، حيث كانت المعركة آنذاك محتدمة.. طول فترة الستينات بين القوميين والماركسيين على محاور فلسفية ومنهجية ونظرية وسياسية وفي مقابل الطرح المادي الماركسي " المادية الجدلية " " والتفسير المادي للتاريخ " طرح د. عصمت سيف الدولة منهج " جدل الإنسان " الذي يعد مدخلا لطرح نظريات بديلة اقتصادية واجتماعية وسياسية في مقابل المادية التاريخية التي كانت مدخلا للتحديد الماركسي للعديد من النظريات وفي آخر فصل من الكتاب وهو بعنوان "أخلاقيات الطليعي " أشار د. سيف الدولة إلى أن منهج جدل الإنسان هو جزء محوري من المنهجية الإسلامية، وأن الإسلام هو المرجعية لخطوات جدل الإنسان، وهذا الطرح بالتأكيد يتضح تماما في

كتابات الإمام باقر الصدر خصوصا كتاب " التفسير الموضـوعي القـرآن " الذي اعتبر منهج جدل الإنسان منهجا إسلاميا في تحديد نظريـات سياسـية واقتصادية واجتماعية وغيرها وهذا يتفق كذلك مع كتابات الأسـتاذ عبـاس محمود العقاد في كتابيه "التفكير فريضة إسلامية" و" الإنسان في القـرآن ".. وتأتى مجموعة كتب "الطرق" وهي ثلاثة:

(الطريق إلى الوحدة، والطريق إلى الديموقراطيـة والطريـق إلـى الاشتراكية) بالإضافة إلى كتاب " وحدة القوى العربية التقدمية " وهذه الكتب السابقة تعد مدخلا لكتابه المهم " نظرية الثورة العربية " الصادر عام ١٩٧٢ وهذا الكتاب بمنزلة مرجعية قومية إسلامية للثورة العربية التـي تسـتهدف أساسا إلغاء التجزئة الاستعمارية للوطن العربي وإقامة دولة الوحدة العربيـة على كامل الأرض العربية وذلك في مواجهة النظريات العلمانية المطروحة آنذاك سواء نظريات شرقية أو غربية.

كما يجئ كتاب " النظام النيابي ومشكلة الديموقراطيـة " عـام ١٩٧٦ والذي استهدف منه د. سيف الدولة تعرية النظم الغربيـة " الديموقراطيـة " وإثبات أن الديموقراطية ليست احتكارا للغرب بـل يمكـن ابتـداع نظـام ديموقراطي يتفق مع مرجعيتنا الحضارية والثقافية.. وهو هنـا يتفـق فـي طرحه للديموقراطية من الطرح الشورى في الإسلام وكان المفكر الراحـل صاحب نظرية ثاقبة للأمور حين كتب " التقدم على الطريق المسدود " أواخر السبعينات الذي أكد فيه أن الحل الإقليمي لقضية فلسطين سيؤدى بهـا إلـى الاستسلام في النهاية لأنه إذا ما ابتعدنا بالقضية عن الصيغة القومية للحـل فإن الدول العربية التي تتناقض مصلحتها مع تحرير فلسطين (وفقا لمنطـق التجزئة) ستجر الفلسطينيين إلى الاستسلام.. وهو الأمر الذي تحقق بالفعـل الآن بشأن التسويات الجارية مع العدو الصهيوني. وجاء كتاب " ما العمل ؟" هادفا حل المشكلات المركبة التي تواجه الثوار العرب بعد هزيمـة ١٩٦٧، فيما صدر كتاب " رأسماليون وطنيون ورأسمالية خائنة " عام ١٩٧٤ وطرح فكرة الانفتاح التي روج لها في ذلك الوقت وهاجمها بعنف.

العروبة والإسلام

وكتاب " العروبة والإسلام " الصادر عام ١٩٨٣ يعد أهم كتب المفكـر الراحل على الإطلاق وهو تطبيق منهجي لكتابه أسس الاشتراكية العربيـة. وفي هذا الكتاب طرح د. سيف الدولة المشكلة بجلاء ووضعها بحكمة، حيث كانت المشكلة التي تواجه المناضلين القوميين، وتحدث عـدم اتسـاق بـين الفطرة والقومية، والصيغ السياسية هي ما كان شائعا (خطأ) عن التنـاقض مابين العروبة والإسلام وهو ما أثبته د. سيف الدولة الذي أكد أن ا لعروبـة ليست في مواجهة الإسلام.. فحين تصبح بلادنا عربية سوف نلمس بوضوح المرجعية الإسلامية مثلما حدث في حرب ١٩٧٣ حين ردد جنودنـا بـدون أوامر " الله أكبر ".

وكما قال في ندوته التي عقدها المركز الإسلامي للدراسـات بحـزب العمل في رمضان الماضى فإن العرب لم يكونوا أمة قبل الإسلام الذي أتـى فأصبحت لهم حركة إلهية مباركة بها فكر وفلسفة وقواعـد للسـلوك وفـي المدينة تجمعوا، وتم تحرير أقدم دستور في تاريخ البشرية " وثيقة الصحيفة " الذي نظم علاقة المسلمين مهاجرين وأنصار والقبائل اليهودية وكانت المـرة الأولى التي تعرف فيها البشرية مصطلح " وطن " ومن هنا قال د. عصمت سيف الدولة أنه لا يوجد قومي عربي علمانيا لأن هناك تناقضا جذريا بـين العلمانية والإسلام الذي هو مصدر حضارتنا العربية سواء كنا عربا مسلمين أو مسيحيين وأضاف المفكر الراحل أنه قد انطلق من المدينة مشعل الإسلام بعناصره الحضارية وحين وصل الإسلام إلى مصر والشام كان الجميع تحت راية نظام واحد هو الشريعة الإسلامية حيث لم تكن هناك حـدود، وبـذلك امتدت حضارة عربية إسلامية زاهرة كما مارسها العرب. وكتاب" العروبـة والإسلام " أعتبره الشيخ راشد الغنوشي مصدرا من مصادر التثقيف لشـباب حزب النهضة بتونس. كما اعتبرته بعض الحركات الإسلامية في المغـرب العربي ولبنان أحد مصادرها الفكرية المهمة وبخاصة حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية.

وفي كتاب " دفاعا عن ثورة مصر " سجل د. سيف الدولة باعتباره محاميا وقائع هذه القضية المهمة المعروفة إعلاميا بقضية تنظيم ثورة مصر وفيه وثق د. سيف الدولة مفهوم أن ما قام به المتهمون هو دفاع شرعي عن النفس حيث قدم لهيئة المحكمة وثيقة إسرائيلية تؤكد أن إسرائيل من حقها تصفية أي شخص يمثل تهديد لها في أي مكان بالعالم وبالأخص بالمنطقة العربية، وهنا دلل المفكر الراحل على أن قيام المتهمين بقتل بعض الإسرائيليين هو بمنزلة دفاع شرعي عن النفس.

إسرائيل والشرق الأوسطية

أما آخر آراء المفكر الكبير فقد عرضها بندوة المركز العربي الإسلامي وهي الندوة التي أخرجته إلى اللقاءات الجماهيرية بعد انقطاع (٥) سنوات حيث أكد أن إسرائيل قامت ونجحت في الانتصار والبقاء تحت حماية الدول العربية مجتمعة، وهذا بالتأكيد انعكاس لحالة التجزئة التي تعيشها أمتنا العربية، وأضاف إن مصطلح " فلسطين عربية " تحول الآن إلى " فلسطين فلسطينية " وهذا أفرز التسويات الحالية.. إذ كيف تواجه منظمة التحرير إسرائيل بعد أن هزمتها ؟ وعموما فإن العالم لا يحترم الدول العربية حين تقول بتحرير فلسطين لأن الأرض الآن لم تعد أرض " العرب " بل أرض " أبو عمار " الذي اتفق مع إسرائيل. ورأي د. عصمت سيف الدولة أن حل قضية فلسطين لن يكون إلا باستبعاد الدول العربية بالأسلوب المناسب من التدخل في قضية تحرير فلسطين وكذلك بالسماح للشعب العربي في كل مكان بحياة الديموقراطية لأنه في ظل الديكتاتورية. بالكاد سوف نفكر في أن نحمى بيوتنا وليس بيوت الفلسطينيين !! فالشعوب هي التي تحرر فلسطين وليست الحكومات.

وقد انتقد د. سيف الدولة دعاة السوق الشرق أوسطية الذين يدعون أنه من المستحيل أن يؤثر (٥) ملايين إسرائيلي في مائتي مليون عربي مؤكدا (بسخرية) أنه يمكن الموافقة على التطبيع والشرق أوسطية ولكن بشرط واحد

هو قيام إسرائيل بإلغاء قانون العودة " الذي يتيح لأي يهودي في العالم يوجد في إسرائيل أن يصبح مواطنا إسرائيليا ".. وهذا معناه أننــا ســوف نســمح بوجود مالا يقل عن عشرة ملايين يهودي من أنحاء العالم كل برأسماله فــي بلادنا وهنا يحدث الغزو الذي نخاف منه باعتبــار إســرائيل رأس حربــة للاستعمار العالمي هذا القانون سوف يحول الفلسطينيين في النهاية إلى أقلية في بلادهم والغريب أن المفاوض الفلسطيني لم يتطرق إلى ذلك، رغم إجبار " أبو عمار " على تغيير ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية بشأن ما يسمى بـ " تدمير إسرائيل " وعموما ــ كما يقول د. سيف الدولة ــ فإن معركة أبــى عمار قد انتهت ولكن معركة الفلسطينيين لم تنته بعد. وإذا كان أبو عمار قد تعب فإن هناك أجيالا كاملة لم تتعب وستواصل الجهاد. وشدد المفكر الكبير على أن الطريق الوحيد لإلغاء تفوق إسرائيل النووي هو قيامنا بإنتاج أسلحة نووية بعيدا عن أي دعاوى أخرى. كما انتقد المفكر الراحل دعاة التركيــز على القضية الاقتصادية حيث أن معركة الاقتصاد أوراقها فــي يــد الــدول الرأسمالية حيث لا يوجد دين أو قومية بل الربح والربح فقط وهــذه الــدول تريد إسرائيل كمركز استعماري في منطقتنا، ولسنا أحرارا لعمل تنمية فــي بلادنا ويكفي أنه بعد الانفتاح أصبحنا نأكل الخبــز بمواصــفات أمريكيــة، ونعيش وفق خطة اقتصادية عالمية،!!.

مذكرات قرية

بقلم / جمال الغيطاني

لكي نعرف أهل الصعيد لابد من قراءة هذا الكتاب " مذكرات قريـة " للدكتور عصمت سيف الدولة وهو محام شهير ومفكر سياسي ولكـن هـذا الكتاب يكشف عن أديب متمكن، وذاكرة أدبية دقيقة لاقطة تحتفظ بتفاصـيل تمر على الكثيرين بدون أن يلحظوها رغم أنهم معايشون لها أنهـا ترجمـة ذاتيه فريدة في الأدب العربي ترجمة يرويها المؤلـف مـن خـلال قريتـه الصغيرة الوادعة الهادئة الراقدة شرق النيل يحفها الجبل ويحدها النهر وهذه القرية التي تقع مابين أسيوط وسوهاج يمكن اعتبارها عالما متكاملا، وحـدة إنسانية، ومجمعا لخصائص الصعيد وعاداته وتقاليده، يقدم المؤلـف رؤيـة عميقة من الداخل ولأنه واسع الثقافة فإنه يرجع الأشياء إلى أصولها الموغلة في التاريخ خاصة الحقبة الفرعونية من تاريخ أمتنا المصرية التـي يظـن كثيرون أنها اندثرت لكننا نفاجئ أنها مستمرة حية في سلوكيات الناس ولغتهم وعاداتهم.

في الجبل ممرات صخرية تؤدى إلى أعلى.. إلـى حجـرات منظمـة منحوته على جدرانها أول محاولة بذلها الإنسان للكتابة قبـل أي حضـارة أخرى في الكوكب هذه الحجرات بمثابة مولد التاريخ. من هنا يبـدأ الـزمن الإنساني للقرية حياتها الظاهرة من ممارسة بيع وشراء وسهر فـي الرهبـة ومعارك شرسة من خلال اللعب ورقصات أشهرها التحطيـب الـذي يبـدأه اللاعب بكلمة فرعونية " سو " ثم تجرى المبارزة بالعصا والتي قد يفقد فيها

أحد اللاعبين حياته عند ئذ يمضى ولا يسعى أهله إلى الثأر وهنـاك الحيـاة التحتية التي يرصد المؤلف تفاصيلها بدراية واسعة ومعظمها يـدور حـول الحب والزواج والعقم والإنجاب وللقرية المنعزلة أيضا تاريخها الدامي عندما أرسلت الحكومة تجريدة عسكرية زمن الخديوي لقمع ثورة محلية قادها شيخ متصوف. غير أن أهم أقسام الكتاب ذلك الخاص بالمرأة إنه يكشف الـدور الهام والرئيسي للمرأة الصعيدية وأنها الفرعونه (هكذا تسمى) وهي المؤثرة الفاعلة وهي التي تحافظ على البيت وعلى القيم وأيضا على الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط وهي الجريئة القوية والرجال يقولون إذا مدح أحـدهم الآخر (داله قلب مرة) وهذه التفاصيل التي يكشف عنها المؤلـف مغـايرة تماما للصورة السلبية للمرأة لمن لا يعرفون الصعيد أو يرونه من بعيد ولكن الكتاب يكشف عن دور المرأة الصعيدية الإيجابي الفاعل فـي الحيـاة إنهـا فرعونة بحق وهذا ما يعرفه كل من ولد أو انتمى إلى جنوب مصـر حيـث مستودع القيم والعناصر التي كفلت للحضارة المصرية الاستمرار وامتصاص كل وافد في النسيج المصري الخالص.

هذا الكتاب الجميل العلمي الموسوعي على صغر حجمه أفضل مـدخل ليس لفهم الصعيد فقط ولكن مصر أيضا.

مؤهلات ومؤلفات وتواريخ هامة

المؤهلات :

١- ليسانس الحقوق	١٩٤٦ جامعة القاهرة
٢ـ دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي	١٩٥١ جامعة القاهرة
٣ـ دبلوم الدراسات العليا في القانون العام	١٩٥٢ جامعة القاهرة
٤ـ دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص	١٩٥٥ جامعة باريس
٥ـ دكتوراه في القانون	١٩٥٧ جامعة باريس

المؤلفات :

١ـ نظرية الدفاع الشرعي في القانون المصري المقارن رسالة بالفرنسية	١٩٥٧
٢ـ أسس الاشتراكية العربية	١٩٦٥
٣ـ أسس الوحدة العربية	١٩٦٥
٤ـ الطريق إلى الوحدة العربية	١٩٦٦
٥ـ الطريق إلى الاشتراكية العربية	١٩٦٧
٦ـ وحدة القوى العربية التقدمية	١٩٦٨
٧ـ ما العمل ؟ حول هزيمة ١٩٦٧	١٩٦٩
٨ـ الطريق إلى الديموقراطية	١٩٧١
٩ـ الوحدة ومعركة تحرير فلسطين	١٩٧١
١٠ـ نظرية الثورة العربية	١٩٧٢
١١ـ محاكمة نيرون	١٩٧٤
١٢ـ النظام النيابي ومشكلة الديموقراطية	١٩٧٥
١٣ـ الحركة الطلابية	١٩٧٥
١٤ـ الأحزاب ومشكلة الديموقراطية في مصر	١٩٧٦
١٥ـ هل كان عبد الناصر ديكتاتورا ؟	١٩٧٧
١٦ـ التقدم على الطريق المسدود	١٩٧٧
١٧ـ إعدام السجان	١٩٧٨

١٨ــ حوار مع الشباب العربي ١٩٧٨
١٩ــ رأسماليون وطنيون ورأسمالية خائنة ١٩٧٩
٢٠ــ هذه المعاهدة ١٩٨٠
٢١ــ دفاع عن الشعب ١٩٨٠
٢٢ــ الاستبداد الديموقراطي ١٩٨٠
٢٣ــ دفاع عن الوطن ١٩٨٠
٢٤ــ هذه الدعوة للاعتراف المستحيل ١٩٨٣
٢٥ــ المحددات الموضوعية لدور مصر في الوطن العربي ١٩٨٤
٢٦ــ عن الناصرين وإليهم ١٩٨٥
٢٧ــ عن العروبة والإسلام ١٩٨٦
٢٨ــ دفاع عن ثورة مصر العربية ١٩٩٠
٢٩ــ الديموقراطية في فكر عبد الناصر ١٩٩٠
٣٠ــ الشباب العربي ومشكلة الانتماء ١٩٩١
٣١ــ مذكرات قرية ــ الجزء الأول ١٩٩٤
٣٢ــ مذكرات قرية الجزء الثاني ١٩٩٥
٣٣ــ حكم بالخيانة كتب في أعقاب مفاوضات فض الاشتباك مع العدو الصهيوني في أعقاب حرب١٩٧٣
٣٤ــ عشرات المقالات والبحوث المنشورة في الدوريات

التواريخ الهامة :

ــ الميلاد ١٩٢٣/٨/٢٠ ــ مركز البدارى ــ محافظة أسيوط
ــ الرحيل ١٩٩٦/٣/٣١ القاهرة
ــ اعتقل لأول مرة في ١٩٧٢/٢/١٥ وحتى صيف ١٩٧٣
ــ اعتقل ثاني مرة في ١٩٨١/٩/٥ مع الصفوة من المناضلين المصريين

□ وقد كان الدكتور أيضا فنان وأديب وله العديد من الأعمال التشكيلية التي أنتجها أثناء فترة الاعتقال وما بعدها.